درة البيان في أصول الإيمان

تأليف

د. محمد يسري

إهداء

إلى العالم الرباني ..

أبي عبد الله الشيباني

إمام أهل السنة والجماعة

ثم.. إلى السَّمي السامي

شيخي الثاني..

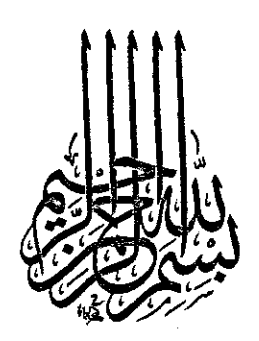
أبي عبد الله الشيباني

الإمام القدوة ..

تقديرًا وعرفانًا ..

المؤلف





رقم الإيداع

رقم الإيداع الدولي



الطبعة الأولى / ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م



٢٠ ش عبد العزيز عيسى، المنطقة التاسعة، امتداد مصطفى النحاس، مدينة نصر، القاهرة.

تليفاكس: (٦٧٠٩٢٦٩).

محمول: (٠١٠١٦٢١٦٧١)، (٠١٠٣٥٦٩٢٠٨)

البريدالإلكتروني:

mohamed_yousri@hotmail.com



تقديم فضيلة الأستاذ الدكتور

محمد رشاد عبد العزيز دهمش

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد..

فإن من البيان لسحرا والبلاغة في الإيجاز، ففي عبارة حكيمة، وإشارة بليغة، ومعانٍ دقيقة، وتراكيب رشيقة، وأفكار سديدة؛ قدم العلامة الفاضل الدكتور/ محمد يسري إلى الأمة الإسلامية هديته الربَّانيَّة في العقائد السَّلفية، حطَّم بها الأفكار البدعية، وقدَّم فيها الأصول الإيمانية وسماها "**درة البيان في أصول الإيمان**" كي تزكو بها القلوب النقية، وتزداد طهرًا بها النفوس الزكية، وتسمو بها الأرواح البشرية، وتتفتح لها الجوارح والجوانح الإنسانية، فتبتعد عن الشرور المادية وتقترب من التعاليم الإسلامية ومن القيمِ الأخلاقية.

قدَّم درَّته لعلماءِ الأمة وطلاب العلم وعشَّاق المعرفة، لعامَّة المسلمين وخاصتهم؛ كي يعيشوا في رحابها ويقتنصوا ما فيها من الفوائد واللآلئ والفرائد التي زخرت بها هذه الدرَّة الثمينة، بوعي أكبر وفهم أعمق وقلوب متفتحة ونفوس منشرحة؛ لينطلقوا بعد ذلك للوقوف على عظمة ما تركه أسلافهم العظام، هؤلاء الذين عاشوا بين القلم والقرطاس وبين الدرس والتمحيص، فقدِّموا للأمةِ العلمَ النافعَ والفكرَ الهادفَ الذي وقف سدًا منيعًا أمام التياراتِ المغرضة، والأفكار الهدَّامة والآراء المنحرفة التي تهب عواصفها على أمتنا من الشرق والغرب معًا.

ولقد كانت هذه الدُّرَّة الفريدة إبرازًا وتوضيحًا لمنهج السلف الصالح هؤلاء الذين عاشوا عصر النبوة وشاهدوا أنوار الوحي وقضوا حياتهم في رحاب القرآن الكريم وسعدوا بصحبة خير البرية واتبعوا ولم يبتدعوا وأدوا واجبهم تجاه دينهم وعقيدتهم وأمتهم وشهد لهم التاريخ بذلك وسجل لهم قول عبد الله بن مسعود ﷺ للأجيال القادمة: "من كان متأسيًا فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا وأقومها هديًا وأحسنها حالًا، اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم" وصدق الله إذ يقول: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وبعد: فإن المكتبة الإسلامية في حاجة ملحة إلى هذه الدرة اليتيمة التي حوت علم التوحيد كله في أسلوبه السهل الممتنع مع الإيجاز البليغ، هذا والله أسأل أن يجعل هذا العمل في ميزان حسنات مؤلفها وأن ينفع بها المسلمين في كل زمان ومكان.

وكتبه

أ.د. محمد رشاد عبد العزيز دهمش

أستاذ العقيدة ورئيس قسم أصول الدين بكلية

الدراسات الإسلامية، وعميد كلية الدراسات

الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر سابقًا

١/ ١١/ ١٤٢٧هـ

تقديم فضيلة الأستاذ الدكتور

محمد السيد الجليند

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلقه وخاتم رسله سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فإن العصر الذي نعيشه قد اختلط فيه الحق بالباطل والتبس على أبنائه الصواب بالخطأ، واتسعت فيه الخروق وكثرت فيه مصادر الفتن وتنوعت فيه عوامل الانصراف عن المصادر الأساسية لتلقي العلم الصحيح من منابعه الأولى الخالصة الصافية من المصطلح الفلسفي الغامض أو المعنى الكلامي المبهم، مما جعل مهمة طلبة هذا العلم شاقة وعسيرة في تحصيل بغيتهم أو الحصول على الرأي الصحيح في مسائل الاعتقاد وسط هذا الزخم من آراء الفرق التي يضرب بعضها بعضا، ويبطل لاحقها سابقها، ويحرص أبناؤها على الانتصار لمذهبهم أكثر من حرصهم على الانتصار للحق من حيث هو حق.

ومن هنا كانت حاجة طلاب العلم الصحيح في مسائل العقيدة إلى هذا العمل الجليل الذي حرص فيه مؤلفه على أن يقدم إلى طلبة العلم مسائل العقيدة ودلائل هذه المسائل في أسلوب مُصفًّى خال من التعقيدات، في عبارةٍ سهلةٍ، وكلماتٍ دالةٍ على مقصودها، وأسلوب مباشر يخاطب به المؤلف القلب والعقل والوجدان، مما يدلُّ على تمكّن المؤلف ومعرفته بمصادر المعرفة الإنسانية ومنابعها، متمثلا في ذلك المنهج القرآني العظيم في خطابه وبرهانه الذي يباشر القلب والعقل والوجدان ليجعل أصل الاعتقاد مؤسَّسًا على كُلِّ ملكات المعرفة الإنسانية.

ولقد أفاد المؤلف من ثقافته التراثية وخبرته الواسعة بمنهج السلف في صياغته لهذا "المتن" جامعا فيه كل مسائل العقيدة على طريقة السلف الصالح الذي يذكر المسألة ويتبعها بدليلها من الكتاب والسنة في الكثير من مسائلها ليذكرنا بمنهج السلف الصالح في صياغتهم الرائعة لمسائل العقيدة وأصول الدين.

وما إن تقع عينك على هذا العمل حتى يرد على خاطرك متن العقيدة الطحاوية التي شرحها ابن أبي العز الحنفي، ومتن العقيدة الأصفهانية التي شرحها شيخ الإسلام ابن تيمية، وكتب السنة للإمام أحمد والخلال واللالكائي، مما يدل على أصالة المؤلِّف وثقافته وسعة معرفته بتراث سلف الأمة وإفادته منه، وما أحوجنا إلى إحيائه في عصرنا هذا خاصة في الجانب العقائدي منه.

ومن مميزات هذا العمل امتلاك مؤلفه ناصية فنِّ الصياغة، وسبك العبارة، واختيار الألفاظ حتى يخيل للقارئ أحيانًا أنه يقرأ أسلوبًا شعريًا، أو نثرًا مسجوعًا، أو فنًا من فنون البلاغة العربية في عصر ازدهارها، ومن هنا كانت تسميته لهذا المتن "**دُرَّة البيان في أصول الإيمان**" صادقة في مبناها اللغوي ومعناها الإيماني.

أسأل الله سبحانه أن يجعل جهده هذا في ميزان حسناته وأن يتقبله منه قبولا حسنًا، وأن يغفر له ولنا أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

أ.د. محمد السيد الجليند

أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة

كلية دار العلوم. جامعة القاهرة

١٤٢٧/١١/١٠هـ

تقديم فضيلة الأستاذ الدكتور(١)

عبد الله شاكر الجنيدي

الحمد لله الذي جعل التوحيد قاعدة الإسلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المتفرد بكمال الذات والأسماء والصفات، المتعالي بعظمته عن مشابهة المخلوقات، وأشهد أن أكمل الخلق توحيدًا لرب العالمين خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ، وبعد..

فإن علم التوحيد أصل الأصول في دين الإسلام، لأنه أساس دعوة الأنبياء والمرسلين، وغايته: إفراد رب العالمين بما ثبت له من الجلال والكمال، وصرف العبادة له وحده دون سواه، ولقد أدرك ذلك وعلمه سلف هذه الأمة الصالحين فاعتنوا به غاية العناية، وكتبوا في بيانه وتوضيحه الكثير والكثير مما أثلج صدور الموحدين، وعباد الله المخلصين، ولقد سرَّني وشرح صدري صاحب اليد الطولى في الكتابة والتأليف فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد يسري إبراهيم من كلمات رائقة فائقة في هذا العلم الشريف نشر بعضها، وها هو يقدم لإخوانه الجديد في كتابه الممتع: "درة البيان في أصول الإيمان".

وهو بهذا أكَّد ما عندي من يقين أن هذه الأمة فيها رجال مخلصون فقهوا دعوة الأنبياء والمرسلين، وذهبوا يذبون عنها انتحال المبطلين وزيف الزائفين الذين هم عن الحق زائغين، ومن المعلوم أن عقيدة الإسلام عقيدة نقية سهلة ميسورة، لأنها مبنية على كتاب الله

الكريم، وما صح من سُنَّةِ سيِّدِ المرسلين ﷺ.

وهذه الرسالة التي كتبت بأسلوب بلاغي جميل رسالة قلَّ نظيرها عند الأولين، ذلك أن علماءنا رحمهم الله وإن كتبوا الكثير، إلا أنه لا يوجد مختصر جامع ومفيد بهذا العرض والأسلوب، احتوى على جُلِّ مسائل الاعتقاد، ليسهل على القارئ حفظه، أو ليدفعه إلى كثرة النظر فيه ومراجعته، وأنا أوجِّه دعوةً صادقةً لطلاب العلم ومحبيه أن يقرأوه في حلقاتِ العلم والمساجد عقب بعض الصلوات، وأن يقوم المتأهِّلُ منهم في هذا العلم بشرح وتحليل بعض عباراته لِيعُمَّ النفع به.

وإنني إذ أقدم له بهذه الكلمات، لأسأل الله تعالى أن يجعله في ميزان كاتبه يوم الدين، وأن يأجره خيرا عن الإسلام والمسلمين جزاء دفاعه ونشره لعقيدة السلف الصالحين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

أستاذ العقيدة ورئيس قسم الدراسات الإسلامية بكلية المعلمين

بالقنفذة بالسعودية

ونائب الرئيس العام لجمعية أنصار السنة المحمدية بمصر

١٤٢٧/١٠/١٥

تقديم فضيلة الأستاذ الدكتور
السيد السيلي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وآله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهديه، ودعا بدعوته إلى يوم الدين. وبعد..

فإن على أهل العلم مهمة عظيمة، وأمانة غالية، ملقاة على عاتقهم. فهم شموع على الطريق، يهتدي بهم المهتدون، وبنور علمهم يستضيئون!

ولما كانت العقيدة هي أشرف المعارف، وأساس هذا الدين، كان العلم بها واجبا على المسلمين والمسلمات، تحتمه ظروف العصر، في واقع تكالبت فيه الأمم الغالية الطاغية على أمة الإسلام، تريد النيل منها، والقضاء عليها، وإطفاء نورها، وإظلام حياتها.

ولكن أنى لهم ذلك، وقد تكفل الله تعالى بألا تستأصل بيضتها، وألا ينطفئ نورها، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

ولا يزال دعاة الحق وأهل العلم ينشرون هذا النور متمثلا في علم نافع، وفي سلوك قويم، وخلق مستقيم، وقدوة صالحة تمثل الدعوة، وتبلغ الرسالة بالقدم والقلم، فتكون القدم قرآنا يتحرك، ويكون القلم نورًا وسطورًا يستضاء بها، ويهتدي بهديها.

وقد أدلى القلم بدلوه في هذه الورقات، لتشع منه خلاصة نافعة في جانب من أهم جوانب الحياة وهو جانب العقيدة في الله، متمثلة في أصول

الإيمان، فجاءت دُرَّةً في البيان!! وقد امتاز المؤلف وبـرع في الإيجـاز، وانتقـاء الألفاظ، فجاءت هذه الورقات؛ بل هذه الإشراقـات، نـورًا عـلى الـدَّرْب، يستضيء بها السائرون، ويهتدي بها السالكون!

والله من وراء القصد يهدينا ويهدي بنا إنه الهادي إلى سواء السبيل.

كتبه

أ.د. سيد السيلي

أستاذ ورئيس قسم العقيدة

بكلية أصول الدين جامعة الأزهر سابقًا

١٤٢٧/١١/٦

تقديم فضيلة الأستاذ الدكتور

محمود عبد الرازق الرضواني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد..

فإن عقيدة أهل السنة والجماعة تعتبر أساسًا متينًا في تكوين عقيدة المسلم، فهي عقيدة تتوافق مع الفطرة السليمة، يشعر بذلك كل من عرفها، كما أنها تتوافق مع النص الصحيح والعقل الصريح، فيؤمن المسلم من خلالها بكل ما جاء في كتاب الله وثبت عن رسوله ﷺ، يصدق الخبر وينفذ الأمر بإخلاص ومحبة متبعًا في ذلك أصحاب النبي ﷺ وعقيدتهم التي دانوا لله عز وجل بها في عصر خير القرون، ومن ثم حرص أهل العلم في تلك العقيدة على تجلية أركانها وشرحها وبيانها إما في مختصر جامع أو شرح مطول نافع.

ولقد أسعدني ما كتبه أخي الشيخ الدكتور/ محمد يسري حفظه الله في مختصره الجامع عن عقيدة أهل السنة والجماعة حيث قدَّمه بصورةٍ سهلةٍ وألفاظ عذبة يسهل على عامة المسلمين وخاصتهم فهمها وحفظها، فأسأل الله أن يتقبل منه هذا العمل وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته.

د. محمود عبد الرازق الرضواني

أستاذ العقيدة المشارك

بجامعة الملك خالد- بأبها - السعودية

٢٢/ ١٠/ ١٤٢٧هـ



مُقَدِّمَة

الحمدُ لله الذي شَرَّفنا بالإسلامِ، وأعزَّنا بالإيمانِ، وهدانا بالقُرآنِ وَجَعلَنا من خَيرِ أُمَّـةٍ أُخرِجَت للناس، وصلَّى الله على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين، ورضي الله عن صحبه الغُرِّ الميامين، وعن التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الإيمان بالله تعالى أعظم المهمات، وإفراده جل وعلا بالعبادة هو قطب رحى الرسالات، وتوحيد الله تعالى أولُ الواجبات وأوجبُ التكليفات، والدعوة إليه من أعظمِ القربات، قد جعلها الله تعالى وظيفة الأنبياء، ومهمة الأصفياء، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فهو أفضلُ الأعمال، وعلمهُ من أشرفِ العلوم.

ولقد منَّ الله تعالى عليَّ بإصدار كتاب " **طريق الهداية**" والذي يعتبر مدخلاً لدراسة علم العقيدة، يُمهِّد سبيلَه، ويقيم للطالب دليلَه، ويفصح عن ثمرته، وجميل غايته، ويظهر وثيق صلته بعلوم الإسلام ونسبته، ويترجم لفصوله ومسائله، ويعرف بكتبه ومراجعه، ثم إني أردفت بمدخلٍ ثانٍ بعنوان "**المبتدعة**" يحذر من مسالكهم وينهى الناشئ عن قبيح مناهجهم، ويجلِّي موقف أهل العدل والإنصاف منهم، وبينا أنا أُعُدُّ لثالث المداخل وأهمها وهو "**الوثيقة في عقائد أهل السنة**" وأطلع على كثرة كاثرة من كتب العقيدة المسندة، وعلى جملة مستكثرة من كتابات المعاصرين المفصلة والمجملة –إذ ظهر لي في عدد منها بعض الملاحظات في شمولها واستيعابها لمسائل التوحيد أحيانًا، أو في عبارتها وطريقة عرضها أحيانًا أخرى.

ولما كان الأمرُ كذلك استخرت الله تعالى في ورقاتٍ تحوي خلاصةً مفيدةً، لتكون بمثابة متنٍ يجمعُ أصْولَ الإيمانِ ومهماتِ العقيدةِ، متضمنةً تنبيهاتٍ على ما ينقضها أو ينقصها، وإشاراتٍ إلى ما ارتبط بها من قضايا ومسائل، وما تعلَّق بها -في هذا العصر- من نوازل، راعيتُ فيها الإيجازَ مع البعدِ عن الإلغاز، واجتهدت في تحرير العبارة، ودقَّةِ الصياغة، وذلك بحسب الوسع والطاقة، ولا يخفى أني في هذا المجال مسبوق، وفضل المتقدمين فيه غير ملحوق.

وقد أتم الله على العبد الضعيف نعمته، وهيأ له من الأسباب ما يفوق قدرته، حيث عطف على هذه الورقات قلوب جمع من السادة العلماء، وطلبة العلم النبهاء، فراجعوها، وسدَّدوها، وقرَّظوها، فللَّه درُّهم، وعليه وحده جزاؤهم، واللسان ناطقٌ بشكرِهم، والقلب معترفٌ بفضلهم، وحسن صنيعهم.

وقد أسميتُها "**دُرَّة البيانِ في أصولِ الإيمان**"، والله أسأل أن يتقبلها بأحسن قبول، إنه أكرم مسئولٍ وأرجى مأمول، وهو وحده المستعان على تيسير شرح يجلِّي فوائدها وينشر فرائدها ويظهر أدلتها.

اللهم آنس بها في القبر وحشتي، وفرِّج بها يوم القيامة كُرْبتي، ويَمِّن بها يوم التغابن صحيفتي، وانفع بها في الدنيا والآخرة أهل عقيدتي ومِلَّتي.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمَّدٍ، وآله وصحبه وسلم أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

محمد يسري

القاهرة .. غرة شهر رمضان ١٤٢٧هـ

الباب الأول

مبادئ ومقدمات



الفصل الأول

فضل الإسلام وأهله

- الدِّينُ الحقُّ هو الإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وهو الاستسلامُ بالتوحيدِ الخالصِ لله والاتباعُ الكاملُ لرسوله ﷺ، والبراءة من الشرك وأهله.

- وهو دينُ الأنبياء والمرسلين، قال تعالى عن نوحٍ عليه السلام: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]، وقال الله تعالى لإبراهيمَ عليه السلام: ﴿أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، وبالإسلامِ أوصى إبراهيمُ ويعقوبُ عليهما السلام قائلين: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وموسى عليه السلام يقول: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وقال الحواريُّون لعيسى عليه السلام: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

- والرسالة الخاتمة المرْضيَّة هي الإسلام، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

- ولا يَسَعُ أحدًا أن يتديَّنَ بغيرِ الإسلامِ الذي أنزلَهُ اللهُ على خاتمِ الأنبياءِ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

- وفي الحديث: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ"(1).

- إذ الإسلام دينُ الفطرةِ، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

- وهو دينُ الهدى والرحمةِ، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

- وهو دينُ اليسرِ ونفي الحرج، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

- وهو دينُ التحرُّرِ من كلِّ عبوديةٍ لغيرِ الله، قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

- وهو دينُ العلمِ والعقلِ، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال تعالى: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

(1) رواه الإمام أحمد في المسند (٨١٨٨)، ومسلم (٢٤٠).

- والمسلمون هم خَيرُ أمَّةٍ أُخرجت للنَّاسِ، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

- وهم الأمَّةُ الوسَطُ، والشهداءُ العدولُ على جميعِ الأمم، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

الفصل الثاني

أهل السنة والجماعة وخصائصهم

- وخيرُ المسلمين: "أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ"، وهم الصَّحَابةُ ﷺ ومن تبعهم بإحسان في كلِّ زمانٍ ومكان.

- وهم السَّلَفُ الصالحُ، وأهلُ الاتِّباع والأثر، وأهلُ الحديثِ والخبر، وهم الفرقةُ الناجيةُ، والطائفةُ المنصورةُ، أسماؤهم كريمة ونسبتهم شريفة.

- وكلُّ من رضيَ بالله ربًّا، وبالإسلام دِينًا، وبمُحمَّدٍ ﷺ نبيًّا ورَسُولاً، ملتزمًا بالإسلام جملة، محكِّمًا شريعته استسلامًا وانقيادًا، وبَرِئَ من كل مذهبٍ بدعيٍ - فهو من أهل السُّنة والجماعةِ.

- وهذا يشمل جمهورَ الأُمَّة الذين لم يخالفوا السنة في أمر كلي، ولم ينضووا تحت رايةٍ بِدْعيَّة، ولم يكثِّروا سَوادَ فرقةٍ غيرِ مرضيَّةٍ.

- وهم وَسَطٌ بين فِرَقِ الأُمَّةِ جميعًا.

- لا يختص بهم مكانٌ، ولا يخلو عنهم زمانٌ.

- لا يخرجون في عقيدتهم عمَّا كان عليه النَّبيُّ ﷺ والصَّحابةُ ﷺ.

- أهلُ العنايةِ بالقرآنِ، وأهلُ الرعاية لسُنَّةِ خيرِ الأنامِ.

- وهم أهلُ الاجتماعِ على الاتباعِ، النابذون للفُرْقَةِ والابتداعِ.

- يُوالُون بالحقِّ، ويُعادون بالحقِّ، وبه يحكمون.

- لَا تَنفَكُّ سِيَرُهم حسنة، كما أن عقيدتَهم صَحِيحةٌ، وشَرِيعَتَهم مُسْتقيمةٌ.

- أخلاقُهم رَبَّانيَّةٌ، ومسالكُهم وَسَطيَّةٌ، وتربيتُهم إيمانية.

- لا يخرُجُون في التربيةِ والسلوكِ عن هدي المعصوم ﷺ، فبأدبه يتأدبون، وعلى أثره يعملون، وعن سنته لا يحيدون.

- يُعَلِّمون ويُربُّون، ويأمُرون وَينْهَون، وإلى الله تعالى يَدْعون، وعليه يَدُلُّون، وفي سبيله يُجاهِدُون.

- لا تزالُ طائفتُهم مجاهدةً بالحُجَّةِ والبيان، وباليدِ والسِّنان، ظاهرةً منصورةً، لا يَضُرُّها مَنْ خَذَلَها أو خَالفَها حتى تَقُومَ الساعةُ.

- أعيانُهم قُدوةُ السائرين، وأئمتُهم منارُ الحائرين، وحُجَّةُ الله على الخلقِ أجمعين.

- وهم في الفضلِ متفاوتون، وعلى كثرةِ فَضَائِلِهم فَلَيسَ بينهم مَعْصُومٌ إلا النبي المعصومُ ﷺ.

- بميزانِ الشريعةِ يَحكُمون، وبإقامةِ الدِّين يتواصَون،فيَنْهَونَ عن تَرَخُّصٍ جافٍ وَتنَطُّعٍ غالٍ، وتهورٍ واندفاعٍ أو عجزٍ وانقطاعٍ.

- يَسْألون اللهَ العافيةَ ولا يتعرَّضُونَ للبلَاءِ، فإذا نَزلَ بِهم قَدَرُ الله كانوا همُ الرِّجالَ، يَثْبُتون ويُثَبِّتون.

- يَعتزِلُون المعاصي، ولا يُخَالِطُون النَّاس إلا في خير.

- يُدارون النَّاس ولا يداهنونهم، سَرِيرَتُهم نَقِيَّة، ولا يقولون بالتَّقِيَّة.

- يَصِلُون من قَطَعهم، ويُعطُون من مَنعَهم، ويَعْفُون عمَّن ظَلَمهم.

- يأخذون العفوَ، ويأمرون بالعُرف، ويُعرِضُون عن الجاهلِين.

- يَصْبِرون ويَـحْلُمون، وعلى ربِّهم يتوكَّلون.

- بمحبة الله تعالى يشتهرون، ومن خشية الله يُشفقون، وبقلَّة الضَّحِكَ وَالفَرَحِ بالدنيا يُميَّزون.

- بقيام اللَّيل يتشرَّفون، وبِوجل القلوبِ ودَمْعِ العيونِ وكثرة الصيامِ والذكر يُعرَفون، إذا رُؤوا ذُكِرَ اللهُ.

- يكُفُّون ألسنتَهم: صمتُهم طويلٌ، ونُطقهم قليلٌ، والحكمةُ تجري في كلماتهم .

- يُفتِّشون سرائرَهم ويحفظون جوارحَهُم، ويُلْهَمون السَّداد في أعمالِهم.

- يَبْذُلُون الصَّدقة بِسَخاءٍ، ويَجودُونَ بِكلِّ عَطَاءٍ.

- يَشْكُرونَ في السَّرَّاءِ، ويتَصبَّرون في الضَّرَّاء، ويتضرَّعون عند نزولِ البلاءِ.

- يُغَلِّبون الرَّجاءَ في الشِدَّة ويغلبهم الخوفُ في الرَّخاء.

- يُكْثِرُون التَّوبَةَ والاستِغْفَارَ، وَيتَهيأون للعرضِ على العزيزِ الغَفَّارِ.

- وهم في ذَلكَ كلِّه يأمرون بالإخْلاصِ وبه يَعْملُون، وَينْهَونَ عن الرِّياءِ ومِنهُ يَفْرَقُون ويُحذِّرون، فيَتَفقَّدون قلوبهم كُلَّ ساعةٍ، ويواظبون على البِّر والطَّاعةِ.

- وبالجملة فإنَّ الخيرَ فيهم غالبٌ، كما أنَّ الشرَّ في مخالفيهم غالبٌ.





الباب الثاني

حقيقة الإيمان وأركانه



الفصل الأول

حقيقة الإيمان بالله تعالى

- الإيمانُ بالله تَعالى ومَلائكتِه وكُتُبِه ورُسُلِهِ واليومِ الآخرِ والقَدَرِ خَيرِه وَشرِّهِ عَقيدةُ المسلمين المتَّبِعين لسُنَّةِ خاتم النبيين وإمام المرسلين، اتفقتْ عليه كَلِمَتُهم، واجتَمَعَتْ عَليهِ أئمتُهُم، وَتَلَقَّاه خَلَفُهم عن سَلَفِهِم.

- والإيمانُ بالله والنطق بالشهادتين أوَّلُ واجبٍ على المكَلَّفِين.

- والمؤمنونَ أهلُ ولايةِ الله، يُحبُّهم ويحبُّونَهُ، ويُدَافِعُ عَنهُم فينصُرهم وَينصُرونَه، لهُمُ الأمنُ في الدُّنيا والآخرةِ وهم مهتدون.

- والحجة في معرفةِ الإيمانِ ونقيضهِ هو بيانُ الله ورسولِه ﷺ.

- والإيمان الشرعي: اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء، له أدنى وأعلى، فأعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بجميعها.

- والإيمانُ اعتقاد وقول وعمل، ومِنهُ باطنٌ ومنهُ ظاهرٌ:

- فالباطنُ: ما استقرَّ في القلبِ وهو أصلُ الإيمان.

- والظَّاهرُ: ما بدا على اللِّسَانِ وجوارحِ الإنسان.

- والإيمانُ الباطنُ على ضربين قَولٌ وَعَمَلٌ:

- فالأوَّلُ: قولُ القَلْبِ: وهو علمٌ وتصديقٌ وَيقِينٌ واعتِقَادٌ.

- والثاني: عَمَلُ القَلْبِ: وهو الإخلاصُ لله والتعظيمُ، والقبولُ

والتسليمُ، والإِذعَانُ له والوَلاءُ، والخوفُ مِنهُ والرجاءُ، والمحبةُ والحياءُ، والإجلالُ والتُّقَى، والإخبَاتُ والرِّضا، والتفكُّرُ والصَّبرُ، والصِّدقُ والشُّكرُ، والخضوعُ والخشيةُ، والتألُّهُ والإنابةُ، والتوكُّلُ والاستعانةُ، ونحوُ ذلك.

- وأعمالُ القلوبِ أصلُ كُلِّ خَيرٍ، وعنها يَصْدُرُ كُلُّ برٍّ، وهي على العبدِ ألزمُ وأوجَبُ، وفي الآخرةِ أنفعُ وأثوبُ.

- وإذا زالَ قولُ القَلْبِ أو عَمَلُه بالكلِّيَّةِ فأهلُ السُّنَّةِ مُجمِعُون على زوالِ الإيمانِ كُلِّه.

- وما في القلوبِ من الإيمانِ هو الأصلُ لعملِ جوارحِ الإنسانِ.

- **والإيمانُ الظَّاهرُ على قسمين: قولٌ وعملٌ:**

فالأول: قولُ اللِّسانِ:

- وهو الإقرارُ بِشَهادةِ "أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ" وما في معناها.

- ومعناها: التزامُ العبوديةِ لله دونَ سِواه، والتزامُ الطَّاعة لرسولِ اللهِ واتباعِ هداه، تصديقًا لخبرِه وانقيادًا لشرعِه.

- فمن أقرَّ بِلسَانِه وَكذَّبَ بِجَنَانِهِ كَانَ مُسْلمًا في الظاهِرِ مُنَافِقًا في الباطِنِ.

الثاني: عَمَلُ الجَوَارِحَ: بالصَّلاةِ والزَّكَاةِ والصِّيامِ، والحَجِّ والجِهادِ وَصِلَةِ الأرحَام، وبِرِّ الوالدينِ والدعوةِ، والتحاكُمِ والقَضَاءِ والحِسْبَةِ، ونحوِ ذلك.

- **ومن عَمَلِ اللِّسان:** الدُّعَاءُ والذِّكْرُ، والحمدُ والشُّكْرُ، والاستِعَاذةُ والاستِغَاثةُ، والأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن الـمُنكَرِ، وتِلاوةُ القُرآنِ، وتدريسُ العِلمِ، وَنحْوُ ذلِك.

- "وكما لا يَنفعُ ظاهرٌ لا باطِنَ لهُ، وإن حُقِنَ به الدِّمَاءُ وعُصِمَ به المالُ والذُّرِّية، فلا يُجزِئُ باطنٌ لا ظاهِرَ لهُ، إلا إذا تَعَذَّرَ بِعَجْزٍ أو إكراهٍ، وخوفِ هلاكٍ، فَتخَلُّفُ العملِ ظَاهِرًا مع عَدَم المانعِ دليلٌ على فسادِ الباطِنِ وخُلُوِّه من الإيمان"[1].

وإذا وُجِدَ المُقتَضِي وعُدِمَ المَانِعُ فقدْ وُجدَ الشَّيءُ ولا بُدَّ.



(١) الفوائد لابن القيم (ص٢٨٣).

الفصل الثاني

العلاقة بين الإسلام والإيمان

- والإسلامُ والإيمانُ عِندَ الإطلاقِ والتَّجْرِيدِ يَتَرادفَان، وعِندَ الاقتِرَانِ والتَّقييدِ يفترقان: فالإسلامُ هو الأقوالُ والأعمالُ الظَّاهرةُ، والإيمانُ هو الاعتِقَادَاتُ والأعمالُ البَاطِنةُ، ولا بد من اجتماعهما في العبد؛ فلا يكفي إسلام بدون إيمان، ولا إيمان بدون إسلام.

- ومراتِبُ الدِّين ثلاثةٌ، أوَّلُـها: الإسلامُ، وثانيها: الإيمانُ، وثالثها: الإحسانُ في الاعتقاداتِ الباطِنةِ والأعمالِ الظَّاهرةِ.

الفصل الثالث

مراتب الإيمان

- وإذا كَانَ أَصْلُ الإيمانِ التَّصْدِيقَ والانقيادَ جُملةً وعلى الغيبِ؛ فإن كَمالَه الواجِبَ: فِعلُ الأركانِ والمفروضاتِ، وتركُ الكبائرِ والمحرَّماتِ، وكَمالُه المستَحَبَّ: فِعلُ المندوباتِ وتركُ المكروهاتِ والورعُ عن الشُّبُهاتِ.

- والإيمانُ يزدادُ بِطاعاتِ القلبِ واللسانِ والجوارِحِ، وينقُصُ بِمَعاصِيها، فكَانَ مراتِبَ ودَرجَات.

وأولى مراتِبِه: الإيمانُ المانِعُ من الخُلودِ في النِّيرانِ، وقد يُسمَّى **"أصل الإيمان"** أو**"مطلق الإيمان"** أو**"الإيمان المجمل"**، وحَقِيقتُه: التزامُ العبوديةِ لله تعالى وَحْدَه، فلا يُتوجَّهُ بالشَّعَائِر إلا إليه، وإفرادُه بالطَّاعَةِ والانقيادِ فلا يُرجَعُ في التَّحْرِيمِ والتَّحْلِيلِ إلَّا إليهِ، وإنْ أخَلَّ صاحبها -الظَّالِمُ لنفسه- بالواجباتِ وَقَارفَ السيئاتِ، ما دام مُجْتَنِبًا للنواقض المكفِّرات.

وأوسَطُها: الإيمانُ المانعُ من دِخولِ النِّيرانِ، وقد يُسمَّى **"الإيمانُ الواجبُ"** أو**"الإيمانُ المطلق"** أو **"الإيمان المفصَّل"**:

- وَيتَضمَّنُ مُطْلَقَ الإيمانِ، وزِيادَةَ فِعْلِ الواجباتِ، وَتَرْكِ المحرَّماتِ، وهذا كمالُه الواجِبُ، وأهله في الفضل على مراتب.

- وصاحِبُها الـمُقْتَصِدُ أولُ منازِلِه الـجَنَّةُ، فلا يلجُ النَّارَ أبدًا.

- وانتفاءُ الإيمانِ المطلقِ لا يَلْزَمُ منه نَفْيُ مُطْلَقِ الإِيمان.

وأعلاها: الإيمانُ الـمُرَقِّي لصَاحِبِه في دَرَجِ الجِنانِ، وقد يُسمَّى: "الإيمانُ الـمُستَحَب" أو "الإيمانُ الكامِلُ بِالـمُسْتَحبَّاتِ".

- ويطلب فيه تحقيق الإيمان المطلق مع الازدياد من فعل المستحبات، وتوقِّي المكروهات، وهذا كماله المستحب.

- وصاحبها السابق بالخيرات إلى أعلا الجنات.

- ويدلُّ على تِلكَ المراتبِ قولُهُ تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ**﴾ [فاطر: ٣٢]، فالأولُ: الـمُسْلِمُ صَاحِبُ مُطْلَقِ الإيمان، والثاني: المؤمنُ صاحب الإيمانِ الـمُطْلَقِ، والثالثُ: الـمُحْسِنُ صاحبُ الإيمانِ الكاملِ بِالمستَحبات.

الفصل الرابع

الاستثناء في الإيمان

- الاستثناءُ في الإيمانِ هو: قولُ أنا مؤمنٌ إن شَاءَ اللهُ.

- وأكثرُ أهلُ السُّنةِ يُجيزونَ الاستثناءَ في الإيمانِ الـمُطْلَقِ خَوفًا من تزكية النَّفْس وورعًا، ويَمنَعونَهُ في مُطْلَقِ الإيمانِ إن كان تردُّدًا وشَكًّا.

- والجازِمُون بالإيمان من عَوامٍّ أهلِ المِلَّة مسلمونَ عند أهلِ السُّـنَّة.



الفصل الخامس

حكم مرتكب الكبيرة

- والمعاصي والكبائرُ من أُمورِ الجاهِليَّةِ، وهي من قوادِحِ الإيمانِ ونواقِصِه، ومرتكِبُها فاسقٌ.

- وفاسِقُ أَهلِ القِبْلَةِ لا يستحِقُّ اسمَ الإيمانِ الـمُطْلَقِ، وإنما مَعَهُ مُطْلَقُ الإيمانِ.

- وأئمةُ أهْلِ السُّـنَّةِ على إثباتِ التبعيض في الاسمِ والحُكْمِ، فيكونُ مع الرَّجُلِ بَعْضُ الإيمانِ -لَا كُلُّهُ- وَيَثْبُتُ لَهُ من حُكمِ أهلِ الإيمانِ وثوابِهم بِحَسَبِ مَا مَعهُ، كما يَثْبُتُ لَهُ مِن العِقَابِ بِحَسَبِ ما عليه.

- ولا يَكْفُرُ أحدٌ من أَهْلِ القِبْلَة بِذنبٍ إلا إذا ارتكبَ ما يَنقُضُ الإيمان.

- وأهلُ الكبائرِ تنالُهم الشفاعةُ، وهم دَاخِلون تَحتَ المشيئةِ، وقد يعفو اللهُ عنهم لتوحيدهم، أو لحسَناتٍ ماحِيةٍ، أو لمصائبَ مُكَفِّرةٍ، ونحوِها، وكلُّ ذَلِكَ محضُ فَضْلِه تعالى.

- ومَنْ عُوقِبَ بِذَنبِه من أهل الكبائر فإلى أَمَدْ، وفي النَّار لا يُـخَلَّد.



الفصل السادس

الحكم على أهل القبلة

- ومن صلَّى إلى القبلةِ فهو من أهْلِ المِلَّة، يُصَلَّى وراءه وعليه، ويُحكَم له بالإسلام في الظَّاهِرِ والله يَتولَّى السرائر.

- ومَن ظاهرُه الإسلام فاختِبارُ حاله أو التوقُّفُ في إسلامه بدعة.

- ولا نُنَـزِّلُ أحدًا من أهل القبلة جنَّةً ولا نارًا إلا بدليل شرعي ، ونَرْجُو للمُحْسِنِ ونُبَشِّرُه ولانأمنه، وَنخَافُ على المُسِيءِ ولَا نُقَنِّطُه.

- وإنَّما الأعمال بالخواتيم.

- وكُلُّ مَنْ لم تبلغه الدَّعوةُ، أو عَاشَ بَيْنَ مَوْتِ رسولٍ وبَعْثَةِ الآَخرِ ولم تَبْلُغهُ دَعْوَةُ الأوَّلِ؛ فهو من أهل الفَتْرَةِ الذين يُمْتَحَنُونَ في الآخِرَةِ، بما يَكْشِفُ عِلمَ الله فيهم بِسَبْقِ السَّعَادَةِ أو الشَّقاوَةِ.

- ومن مات من أطْفَال المؤمنين ففي الجَنَّةِ بالإجماعِ، وفيمن ماتَ من أطْفال المشركِينَ نزاعٌ عند أَهلِ الاتِّباعِ.

الفصل السابع

أبواب الإيمان وأقسام التوحيد

- الإيمانُ بالله تعالى يَتَضمَّنُ الإيمانَ بوجودِ الله تعالى وَوَحدَانيَّتِهِ، وبِربُوبيَّته، وبأسمائِهِ الحسنى وصفاته العُلا، وبألوهيته جلَّ وعلا.

- والتوحيد اعتقادُ أن الله تعالى واحدٌ أحدٌ في ذاته وأسمائه فلا سَمِيَّ له، متفرِّدٌ بصفاته فلا مِثْلَ له، متفرِّدٌ بأفعاله فلا نظير له، متفرِّدٌ باستحقاق العبادة وحده فلا شريك له، ومن ثَمَّ طاعتُه وعبادتُه بما أمر، واجتنابُ ما عنه نهى وزجر.

- وجماع الإيمان والتوحيد أن يُفرِد العبدُ ربه باعتقاداتٍ تقوم بقلبه، وأقوالٍ تجري على لسانه، وأفعالٍ تحصل بجوارحه.

- "ولما كانت حقيقة الإيمان والتوحيد تكمُن في تصديق الخبر والانقياد والتنفيذ للأمر فقد ناسبَ ابتناؤه على ركنين، أن ينقسم إلى قسمين، قسمٌ يتعلق بتصديق الأخبارِ والمعرفةِ والإثبات، وآخرٌ يتعلق بالطاعةِ والانقياد"[1].

- ولما وقع الخللُ في إفراده تعالى بصفات الرُّبوبيَّة، ونشأ الإلحادُ في أسمائه وصفاته العليَّة، وظهر الشرك والابتداع في عبادة الله تعالى- اعتنى السلف بالرد في كل جانب، وبيان وجه الحق في كل باب.

---

(1) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٦/ ٤٠)، قاعدة في المحبة لابن تيمية (ص١٥٩).

- واقتضى الاستقراءُ للنصوص وحسنُ الترتيب والتصنيف أن يُبوَّب في الإيمان والتوحيد بابان على الإجمال: التوحيد العِلميُّ الخبريُّ والتوحيد القَصدِيُّ الطَّلبيُّ، وثلاثةٌ على التفصيل: توحيد في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، ، وهي في الحقيقة متلاحمةٌ، وفي قلب الموحِّد تقع مجتمعةً وغيرَ مُتَزايِلَة.

- وكما أنه ليس في هذا التصنيفِ توقيفٌ، فإنه ليس في الإيمانِ والتوحيدِ تعديدٌ.



الفصل الثامن

أدلة الإيمان بوجوده تعالى

- ووجودُه تعالى ذاتيٌّ: أزليٌّ فلم يسبقه عدمٌ، أبديٌّ فلا يلحقُه فناء، والأدلة على وجودِه تعالى لا يحصرُها عدٌّ ولا يُحيط بها حدٌّ، تبدأ من أصغر ذرَّة ولا تنتهي عند أكبر مجرَّة، وهي أنواع منوَّعة:

منها: **الفِطرةُ المستقيمة:**

-إذ العلمُ بالله أوَّلُ الأوَّليَّات، وأعمقُ المسَلَّمات، وأرسَخُ الضروريَّات.

- والإيمانُ في أصله فِطرِيٌّ وَهْبيٌّ ضرورِيٌّ، قال ﷺ: **"كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ"**[1]، وتفاصيلُه تتوقَّف على العِلم بالوَحي.

- ويزدادُ بالعمل والتفكُّر .

- والرسلُ إنما يُنبِّهون العبادَ إلى ما هو مَركُوزٌ في فِطَرِهم، ويذكِّرونهم بما أُخذت عليه مواثيقُهم، ويدعُونهم إلى موجبها تفصيلًا وتكميلًا.

ومنها: **دَلالةُ العقلِ الصريحةُ:**

- فبَدَاهة العقل تَقْضي أنه يستحيل أن يُوجِدَ الشيءُ نفسَه، كما يستحيل أن يُوجَدَ شيءٌ بلا مُوجِد، كما يقرِّر أن العدم لا يَخلق شيئًا، وأن فاقد الشيء لا يعطيه. قال تعالى: ﴿**أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ**

---

(1) رواه البخاري (١٣١٩)، ومسلم (٢٦٥٨).

ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

- والعقل يقضي بأن لكلِّ مخلوقٍ خالقًا، وكما أن الصنعة تدل على صفة صانِعِها، فإن صنعة الكوْن المحْكَمةَ تدلُّ على صفات بارِيها ومُبدِعها.

ومنها: **إجماع الأمم**:

- ومع اختلاف الخَلق في الاعتقادات لم يُنقل عن أحدٍ إثباتُ شريكٍ لله تعالى في خلق المخلوقات، ومُماثِلٍ له في جميع الصفات، فَضْلًا عن إنكار وجوده بالكلِّية، وفي كلِّ لغةٍ وعلى كلِّ لسانٍ تَهتِف البَرِيَّـةُ باسم "الله"، قال تعالى: ﴿**أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ**﴾ [إبراهيم: ١٠].

ومنها: **آيات الله المنظورة**:

- فوجود هذا الخَلق وتسويَتُه أظْهرُ دليلًا، وتقديرُ كلِّ خلق بمقدار أجْلَى بُرهانًا، وهدايةُ كلِّ خلقٍ إلى غايته أصرحُ بيانًا، قال تعالى: ﴿**سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ**﴾ [الأعلى:١: ٣].

ومنها: **إجابة الدعوات الملهُوفَة**:

- فالمؤمن والكافر والبرُّ والفاجر يشهدون بوقوع إجابة دعوة المضطرِّين عند توجُّهِهم بدعاء ربِّ العالمين، وليس من شرط هذا الدَّليل اطِّرادُ الإجابة الحالّة في كل استغاثةٍ؛ لموانعَ حائلةٍ أو لِحِكَمٍ بالغةٍ.

ومنها: **آيات الرُّسل القاهرة:**

- ولاسيما المعجزة الخالدة في الدَّلالة على الرحمن، وهي القرآن المتلوُّ باللسانِ، والمسمُوعُ بالآذان، والمحفُوظُ بالجَنان.

ومنها: **دلالة النقل الصحيحة:**

- ولا يُعرِّف بالله مثلُ الله، وقد تَعرَّف إلى عباده بوَحْيِه وشرعه، والشَّرائعُ كافةً والرُّسلُ عامَةً جاءت بالخبر عن الله تعالى.

- والإلحادُ في وجوده تعالى خروجٌ عن أصل الخِلْقَة، ومُقتضى الفِطرَة، وبَداهَةِ العُقول، وصراحةِ النُّقول، وإجماع الأمم.

❀❀❀

الفصل التاسع

الإيمان بصفات الربوبية

- قد دلَّ القرآنُ على انفراد الله تعالى بصفة الرُّبوبيَّة، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

- والإيمان بِرُبوبيَّة الله تعالى يعني: إفراده بأفعال الرَّب، ومُقتضَيَاتِ الرُّبوبيَّة من الخلق والتقدير، والملك والتدبير.

- قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

- وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٩].

- وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١].

- وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣١].

- والشرك في الرُّبوبيَّة باطلٌ بالنقل والعقل، وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

- ومَن صحَّ إيمانُه بالربوبيَّة هَدَاه - ولا بدَّ - إلى الإيمان بالألوهيَّة، فأفرد الله تعالى بالطاعة والعبوديَّة.

- فالإقرار بالربوبية وحدها لا يكفي للبراءة من الشرك

والدخول في الإيمان. قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا﴾[الفرقان : ٣].

- ومَن تحقَّق بهذا الإيمان فوحَّد الله في ربوبيَّته تمهد له طريقُ عبادته، واستَنَار عقلُه، واطمأن قلبُه، ورَضِيَ بالقضاء والقدر، فانشرح صدرُه، وتوكَّل على الله حقَّ توكُّلِه.



الفصل العاشر

الإيمان بأسماء الله وصفاته

- والعلمُ والإيمانُ بالأسماء والصفات، أشرفُ العلوم وأفضلُ الأعمال.
- وهو طريقُ معرفةِ الله وتعظيمِه، وتمجيدِه ودعائِه.
- وسبَبُ زيادة الإيمان والترَقِّي في دَرَجِ الجِنَان.
- ورأسُ إقامة الدِّين، وحصول الرِّفْعَة والتَّمْكين.
- وهو مِعرَاجُ السالكين إلى أخلاق الصالحين.
- وأهل السنَّة بأسماء الله وصفاته يؤمنون.
- وعن مُشابهة الخَلق ربَّهم ينزِّهون.
- وعن إدراك الكيفية طمعَهم يقْطَعون.
- وعَلى ما يليق بجلاله وكماله من الحقائق والمعاني يُثبِتون.
- وبقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، يستدلُّون وعليه يَعتمِدون.

- وقد دلَّ القرآنُ على تفرده تعالى بالأسماءِ الحسنى والصفات العلا، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الروم: ٢٧].

الفصل الحادي عشر

قواعد الإيمان بالأسماء الحسنى

- أسماءُ الله كلُّها حسنى سواءً انفردَت، أو اقترَنَت، أو تَضايَفت.

- والإيمانُ بأسمائه تعالى يتضمَّن ثلاثةَ أمور: الإيمان بالاسم، وما دلَّ عليه من معاني، وما يقتضيه من آثار، فمثلاً يؤمن بأنه عليمٌ، وذو علمٍ محيطٍ، وأنه يُدبِّر الأمر وَفقَ عِلمه.

- وأسماء ربِّنا تعالى تَوقيفيَّة، جاءت بها أدلَّةٌ وَفيَّة.

- فلا تُشتَقُّ أسماؤه من صفاته أو أفعاله، بل تُشتق صفاته من أسمائه.

- ولا تنحصر عِدَّتُها في تسعٍ وتسعين، ولا يُحصيها عدُّ العادِّين.

- وأسماؤه تعالى كلُّها فاضلةٌ؛ لكنَّها على التَحقِيق متفاضِلَة.

- ولا يخرج من أسماء الله ما تَقَارَب معناه إذا اختلفَ مَبْناه.

- وأسماء الله تعالى تدلُّ على العَلَميَّة والوَصفِيَّة.

- والإلحادُ فيها يكون بإنكارِها بعد ثبوتِها، أو إنكارِ ما دلَّت عليه، وبابتِدَاعٍ في اشتِقَاقَاتها وإنشائها، أو بتشبيهها بأسماء المخلوقين وصفاتهم، قال تعالى: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].



الفصل الثاني عشر

قواعد الإيمان بالصفات العُلا

- صفاتُ الله عُليا كلُّها، ثناءٌ كلها، كمالٌ كلها، تَوقِيفيَّةٌ كلها.

- وبابُ الصفات أوسعُ من باب الأسماء، وأوسعُ منها بابًا الإخْبَار، وأفعالُه تعالى صادرةٌ عن أسمائه وصفاته.

- ولا يُحيط بالصفات أحدٌ، ولا يأتي عليها عَدٌّ، وهي مُتفاضِلة تفاضُلًا لا يَستلزِم نَقصًا، وتفسير بعضِها ببعضٍ لا يَستلزِم تماثُـلًا.

- والصفاتُ منها **ثُبوتيٌّ** ومنها **سَلبِيٌّ أو منفيٌّ**، والثُّبوتيَّة منها **ذاتيٌّ وفعليٌّ**، وهي مدحٌ وكمالات.

- **والذاتية**: لا يُتَصوَّر انفِكَاكُها عن الذَّات أزلًا ولا أبدًا، ويلزمُ عن نفيِها نقصٌ، ولا تتعلق بالمشيئة، والفِعليَّة على خلاف ذلك.

والذاتيَّـةُ منها مَعنوِيٌّ: كالسمع والبصر، والقُدرة والعلم.

- **ومنها خَبَرِيٌّ**: كالوَجه واليدَين، والقَدَم والعين.

- **والفِعليَّـة**: كالضَّحِك والمجيء، والنزول والاستِوَاء.

- **والمنفِيَّة**: كالموت والنوم، والنسيان والعَجْز.

- وليس في المنفيِّ منها كمالٌ ولا مدحٌ إلا بإثباتِ كمالِ أضدَادِها.

- وطريقةُ الوحيِ في الصفات التفصيلُ في الإثبات والإجمالُ عند النفي.

- والقولُ في الصفات كالقولْ في الأسماء، والقول في الصفات كالقول في الذَّات.

- والقولُ في بعض الصفات كالقول في البَاقِيَات.

- والاشتراكُ في الأسماء والصفات لا يَستلزِم تماثُل المسمَّيَات والموصُوفَات.

- وليس في العَقليَّات ما يخالف منهجَ الإثبات.

- والواجبُ في نصوص الصفات إجراؤها على ظاهرها اللائقِ بجلاله تعالى والمعلومِ بمُقتَضى الخطابِ والبَيان، وما يُفهم من السياق.

- فالأسماءُ والصفات إذا أُضيفَت إلى الربِّ اختصَّت به، فكما تَثبُت له ذاتٌ لا كالذَّوات ، تَثبُت له أسماءٌ وصفاتٌ لا يماثِلُها ما للمخلوق من أسماءٍ أو صفات.

- وكما أن له تعالى ذاتًا على الحقيقة، وله أفعالًا على الحقيقة، فكذلك له صفاتٌ على الحقيقة.

- والتفويضُ عند الخَلَف يَشمَل المعاني الحقيقيَّة، وهو مِن البِدع الرَّدِيَّة، إلا أن يقصد به تفويض علم الكيفية.

- ومذهبُ أهل السنة في الصفات وَسَط بين فِرَق أهل القبلة، إثباتٌ بلا تمثيلٍ، وتَنزيهٌ بلا تعطيلٍ، إذ كلُّ ممثِّلٍ مُعطِّلٌ وهو كمنْ يعبد صنمًا، وكلُّ مُعطِّلٍ مُمثِّلٌ وهو كمن يعبد عَدَمًا.

- والتكذيبُ بالصفات كفرٌ، وإثباتُ التَّشبيهِ والتَّمثيلِ بالمخلوقين كفرٌ.

- وتأويلُ الخَلَف مَظِنَّـةُ التَّلف، ولا يُقبل إلا لظاهرٍ خالَفَ سائرَ المنقولاتِ، فيُـفسَّر بما يُوافقها.

- واعتمادُ تأويل الصفات كأصلٍ بدعةٌ كليةٌ، وتأويلُ بعضها زَلَّة علميةٌ، تُردُّ على قائلها، ولا تُهدَر مكانَتُه بسببها.

❦❦❦

الفصل الثالث عشر

ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات

- والإيمانُ بالأسماء والصفات مقتضٍ لآثاره في العبادة والدِّين كاقتضائها لآثارها في الخلق والتَّكوِين.

- والإيمانُ بها على وجهها الصحيح يُثمِر أنواعًا من العبودية.

- فعلمُ العبد بجلال الله وعظمتِهِ وقوتِهِ يُثمِرُ عبوديَّةَ الخُضوعِ والإنابةِ، والخشوعِ والاستقامةِ.

- وعلمُه بسمعه وبصره وإحاطته تعالى يُثمر عبودية حفظ اللسان والجوارح وخَطَرَات القلب والحياء.

- وعلمُه بغناه وكرمه وإحسانه ورحمته تعالى يُثمر عبودية الرجاء وأنواعًا من عبودية الظاهر والباطن.

- وعلمُه بصفات إلهيَّته وأمره ونهيه يُثمر عبوديةَ المحبةِ الخالصةِ، والشوقِ إلى لقائِه، والأنسِ به، والمنافسةِ في قُربه، والتَّودُّدِ إليه بطاعته، واللَّهَج بذِكره والفِرار إليه، ثم إنه لا يُنازِع ربَّه في صفات ألوهيته، فلا يَحكُم إلا بما أنزل الله، ولا يتحاكم إلا إلى ما أنزل الله، ولا يُحرِّم ما أحلَّ الله، ولا يُحلُّ ما حرَّم الله.

- وكلُّ ما يحبُّه اللهُ فهو من آثار أسمائه وصفاته ومُوجَبِها، وكلُّ ما يَبْغَضُه فهو مما يُضادُّها ويُنافيها.



الفصل الرابع عشر

إفراد الله تعالى بصفات الألوهية

- الأُلوهيَّةُ نسبةٌ للإله المعبُود المحبوب، المرجُوِّ المطلوب، الذي تَذِلُّ وتَخضَعُ له القلوبُ، فتطمَئِنُّ بذِكره، وتَسْكُن إلى قضائه وقدره، تعبده وتتوكَّل عليه وإليه تُنِيب.

- والإيمانُ بالألوهية: هو إفراد الله بالعبادة وحده شريك له.

- وفي تفرده تعالى بصفة الإلهيَّة، قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

- والعبادةُ اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه اللهُ ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، أداءً بغاية الحبِّ وكماله، وخضوعًا بغاية الذُّل وتمامه، حَذَرًا من عقوبته، ورجاءً في رحمته.

- وإفرادُه تعالى بالعبادة هو أصلُ دين الإسلام، وحقُّ الملِك العلَّام، وغايةُ خلق الأنَام، وفَيْصَلُ التَّفرقَةِ بين الكفَّار وأهل الإسلام، لُبُّ دعوة النَّبيِّين، وأولُ خطابٍ للناس أجمعين، وهو العِصمة في الدُّنيا والنجاةُ في الآخرة، فهو أولُ الدِّين وآخرُه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

- والإيمانُ بالألوهية مُتضمِّنٌ للإيمان بالربوبية، وبالأسماء والصفات العلية.

- وتتضمَّنُ شهادةُ "أن لا إله إلا الله": إفرادًا له تعالى بأفعاله وتَعرُّفًا إليه بأسمائه وصفاته، و الإخلاص في إفراده تعالى بأفعال العبادة، حبًّا ورغبةً، وذُلًّا ورهبةً، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

- وتتضمَّنُ شهادةُ "أن محمدًا رسول الله": اليقينَ برسالته، والحبَّ والتوقيرَ لشخصيته، والتصديقَ لخبره، والاتِّباعَ لأمره، والاجتنابَ لنَهيه، وألا يُعبد اللهُ إلا بما شرع، مع البراءة مِنَ البِدَع، ومِن كلِّ تَقليدٍ مَلوم أو اتباعٍ لم يُشرع مَذمومٍ.

- وبالنُّطق بالشهادتين إقرارًا بمعناهما يَثبُت عَقْدُ الإسلام في أحكام الدنيا.

- ومِن الإيمان بالألوهية: إفراده تعالى بدعاء العبادة والمسألة، فما لا يقدر عليه إلا اللهُ فلا يُطلب إلا من الله.

- والنَّذرُ وذبحُ الصَّوافِّ، والسَّعيُ والطوافُ، والتوكلُ والخوفُ، ونحُوُها عبادةٌ لا تُصْرَفُ إلا لله.

- والتوسُّلُ منه مشروعٌ وممنوعٌ، فأمّا المشروع فهو ما كان بأسماء الله وصفاته وأفعاله، أو بالأعمال الصالحة، أو بدعوةٍ صالحةٍ، والممنوعُ ما عَدَاه مما لم يشرعه الله.

- والبركةُ من الله وحدَه، والتبرُّك توقيفِيٌّ، فلا يَثبُت إلا بدليلٍ.

- وكلُّ ذريعةٍ إلى الشرك في عبادة الله أو الإحداثِ في دين الله يجب سدُّها، والوسائل لها أحكام المقاصد.

- ومِن توحيد العبادة إفرادُه تعالى بالطَّاعة والانقياد والحكم والتشريع، فلا حلالَ إلا ما أحلَّه الله، ولا حرامَ إلا ما حرَّمه الله، ولا دينَ إلا ما شرعه الله.

- وموالاةُ أهل الإيمان ومُعادَاة أهل الكفران من أصول الدِّين وشُعَب الإيمان.

- ومَن وَالَى على ملَّةٍ غير ملَّة الإسلام فقد هدم الدِّين وصار من الظالمين.

- وأَولى الناس بالموالاة أطوَعُهم لله، وهم -بعد الرسل- أصحاب رسول الله ﷺ، ثم الأمثل فالأمثل.

- وللعبادة والعبوديَّة أنواعٌ وأحكامٌ.

- فأنواعُها ثلاثةٌ؛ في الجَنَان واللِّسان وسائر جوراح الإنسان، ولكلٍّ عبوديةٌ تخصُّه.

الفصل الخامس عشر

ثمرات الإيمان بالألوهية

- وإفراده تعالى بالأُلوهيَّة له آثاره المرْضيَّة الدنيوية والأُخرويَّة، فأما في الدُّنيا: فهو يورث الحياة الطيِّبة، بتحقيق العبوديَّة وبتذوُّقِ طَعمِ الإيمانِ وحلاوتِهِ، والأنسِ بالله والتلذُّذِ بطاعته، وطمأنينة النفسِ بحسنِ التوكل والاعتماد، والتعلقِ بالله دون الأسباب، وتحقيقِ عبادات القلب، وتصحيحِ عبادة الجوارح وإقامتِها على وَجهِها، وتحصيلِ الاستخلاف في الأرض والتَّمكينِ للدِّين، ويُعقِب حسن الخاتمة.

- وأما في الآخرة: فالتثبيتُ عند سؤال الملَكَين، والنجاةُ من عذاب القبر، والأَمنُ يوم الفَزَع، وتكفيرُ السيئات، والجوازُ على الصِّراط، ودخولُ الجنة، والنجاةُ من النار.



الفصل السادس عشر

الإيمان بالملائكة

- والإيمان بالغيب عقيدة الموحِّدين، ومن أعظم مقامات المؤمنين.

- وهو ضرورةٌ فِطرِيَّةٌ، وعقيدةٌ شرعيَّةٌ.

- ولا يتمُّ إلا بالإيمان بجميع ما أنزل الرحمن.

- ومِن الإيمان بالغيب: الإيمانُ بالملائكة، وأنهم عبادُ الله النُّورانيُّون المكرَمُون.

- على الطاعة مَفطُورُون، وعن العبادة لا يَفتُرون.

- والإيمانُ بهم إجمالًا ركنُ الإيمان، ويجب تفصيلًا فيمن وَرَدَ ذِكرُهم في السُّنَّة والقرآن.

- منهم جبريلُ الموكَّل بالوحيِ الذي به حياة قلوب البشر، ومنهم ميكائيل الموكَّل بالمطَر، ومنهم إسرافيل الموكَّل بالصُّور، ومنهم ملك الموت الموكَّل بقبض أرواح البشر، ومنهم مالك الموكَّل بالنار، ومنهم زَبَانِيَةُ دارِ البَوَار، ومنهم مُقدَّمُ خَزَنَةِ خير دار، ومنهم الموكَّلون بزيارة البيت المعمُور، ومنهم السيَّاحون في البلاد يتتبعون مجالس الذكر، ومنهم الباعِثُون في قلوب العباد الخير ، ومنهم حملة العرش، ومنهم الحَفَظَة، ومنهم الكرامُ الكَتَبَة.

- أعدادُهم العظيمة لا تُحصى، وأعمالُهم الجليلة لا تُستَقصَى، هم

أولياء المؤمنين في الدُّنيا والآخرة، بالخير يأمُرون، ويَغْدون ويدعُون، وعن الشرِّ ينهَون ويُحذِّرون، وللمؤمنين يستغفرون، وعليهم يُصلُّون، وعلى دعائهم يؤمِّنون، وبالجنَّة يُبشِّرون.

- والمؤمنون مِن نَظَر الملائكة يستَحيون، وبحبِّهم يَأمرون، وبالنَّهي عن أذاهم يتواصَون.

- والإيمان بالملائكة عصمةٌ بإذن الله مِن الوَهم والخُرافة، وزيادةٌ في العلم بعظمة الله وقُدرته، وهو يورث الاستقامة، ويقوِّي الصبر، ويُوجِب الذِكْر، ويدعو إلى الفكر، ويُعين على الشكر.



الفصل السابع عشر

الإيمان بوجود الجن

- ومِن الإيمان بالغيب الإيمان بوجود الجنِّ والشيطان.

- وأنّ خلقهم كان قبلَ خلقِ الإنسان، وأصل خلقهم مَارِجُ النِّيران.

- يَحيَون ويموتُون، ويَتَناكَحُون ويتناسَلون، وفيهم مؤمنون، ومنهم قَاسِطون، فمَن آمن فقد تحرَّى رَشَدا، ومن كفر فقد صار لجهنَّمَ حَطَبًا.



الفصل الثامن عشر

الإيمان بالكتب المنزلة

- ومن أركان الإيمان: الإيمان بما أنزل الله على أنبيائه مكتوبًا في الألواح، أو مسموعًا من مَلَكٍ أو من وراء حجابٍ، سواء جَمَعَه اسمُ الصحيفة أو الكتاب.

- أنزلها الله تعالى حجةً على العالمين، ومَحَجَّةً للسالِكين.

- وأَوَّلُها ذكرًا في كتاب الله صحفُ إبراهيم، ثم التوراة وهي صُحُف موسى، وآتى اللهُ داودَ زَبُورا، ثم الإنجيل على عبده ورسوله عيسى، وآخرها نزولًا الفُرقَان على النَّبيِّ العَدنَان ليكون للعالَمين نذيرا.

- وجَحْدُ واحدٍ منها كجَحدِها جميعًا.

- وقد اتفقت في أصول الإيمان، ومكارم الأخلاق، وكلِّيات الدِّين، والإخبار عن السَّابقِين واللَّاحقين، وإن اختلفت في أحكام أفعال المكلَّفين.

- يَنسَخُ اللَّاحقُ منها السابقَ كليًّا أو جزئيًّا.

- وَكُتُبُ الله تعالى إمَّا مفقُودةٌ غير موجودةٍ، وإمَّا مُحَرَّفةٌ غيرُ مَحفُوظةٍ إلا المحفُوظ بحفظ الله، وهو النَّاسِخُ الخاتِم، والمهَيمِنُ الحاكِم، النُّور المبين والذِّكر الحكيم، وهو القرآن العظيم.

- وَيَتَعَيَّن في الجملة احترامُها بتعظيم أصولها، ومَعرفة حكمة الله في

إنزالها وتَشرِيعها، مع الحَذَر من قراءتها لما تَقَدَّم مِن تَحرِيفها ونَسخِها.

- والقرآن كلامُ الله حروفُه ومَعانِيه، منه بَدَأ وإليه يَعُود، مُنزَّلٌ غيرُ مخلُوقٍ، ولا نُخالف جماعةَ المسلمين.

- وحَقُّ القرآن العظيم الإيمانُ به وتحكِيمُه، وحِفظُه، والتهجُّد به وتَرتِيلُه، وتدبُّره، وتعلُّمُه، والعملُ به، وتَعليمُه.

- وما آمَنَ بالقرآن مَن كذَّب شيئًا من أخباره، أو استحلَّ شيئًا من مُحرَّماته، أو اعتقد تحريفَه أو نقصانَه.

الفصل التاسع عشر

الإيمان بالرسل

- ومن أركان الإيمان: الإيمان بالنبيِّين والمرسَلين، وأنهم صَفوَةُ خلق الله أجمعين، وقد أُسِّس جميع الدِّين على التَّصديق بِنُبُوَّة النبيِّين.

- يجب الإيمان بهم إجمالًا، وبمن ورد ذكرهم في القرآن تَفصِيلًا.

- والتكذيب وترك الإيمان بواحدٍ منهم كالتكذيب بجُميعهم.

- والنُّبُوَّة سابقةٌ على الرسالة، وكِلتَاهما وَهْبِيَّةٌ لا كَسْبيَّةٌ، فكلُّ رسولٍ نبيٌّ ولا عَكس.

- وهم أعلم الخَلق وأعدلهم طريقةً، وأكمَلُهم خُلُقًا وأصدقهم لَهجَةً، ما ليَّنَت الشدائدُ منهم صَلْبًا، ولا وَهّنت المكائدُ لهم عَزْمًا، نفوسهم عن الدنيا راغبة، ونيران خوفهم لم تزل مُتوقِّدة، ومدَامِعُ عيونهم لم تبرح مُترَقْرِقَة، ثم إن لهم النصرَ والعَاقِبَة.

- تمكَّن بعضهم من الدنيا فلم تتبدَّل لهم طريقةٌ، ولم تتغيرَّ لهم خليقةٌ، يقينهم بربِّهم باهرٌ، وتَسلِيمُهم له ظَاهِر.

- أجرى الله على أيديهم الآيات البَوَاهر، والتي على مثلِها آمَن الغائِبُ والحَاضِر.

في قبورهم يصلُّون، ولا تأكل الأرضُ أجسادَهم وهم مُكرَمون.

- أقام الله بِبَعثتهم الحُجَّة، وأظهر بسيرتهم المحَجَّة، وأعلى بهم منار التوحيد، وأصلح برسالتهم أحوال العبيد.

- وكلُّ نبيٍّ بَشَّرَ بمحمدٍ ﷺ، وبالإيمان به أُخِذَ عليه الميثاق.

- وَصِفَتُه ﷺ في التوراة والإنجيل أنه يضع عنهم إِصرَهم، ويَفُكُّ عنهم كلَّ وِثاق.



الفصل الحادي والعشرون

خصائص النبي ﷺ وحقوقه

- خص الله نبينا محمدًا ﷺ بختم النبوة والرسالة، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠].

- ورسالته ﷺ للناس كافة، وللثقلين عامة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾[سبأ : ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء : ١٧].

- ولم يمت نبينا ﷺ إلا وقد بلّغ الرسالة وأدى الأمانة، وأنزل الله عليه قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

- كما خصَّه ربُّه بالإسراء والمِعرَاج، وجعل القمر لأجله في انشقاق، وجعل في رِيقِه وعَرَقِه البركةَ والعِلاج، بدَعوَتِه يُستَقَى المطرُ، وإليه انقاد الشَّجَرُ، وعليه سَلَّم الجملُ والحجر، سيِّد ولد آدم ولا فخر، صاحب الشفاعة العظمى، وحامل لواء الحمد يوم القيامة ﷺ.

- دلائلُ نبوته زادت على الحدِّ، وشمائله لا يأتي عليها العدُّ.

- فالإيمانُ به أوَّلُ حُقوقِه، مع طاعتِهِ واتِّباعِه، وتعظيمِهِ وتَوقِيره، ومحبَّتِهِ ومَيْلِ القلب إليه، والتَّحَاكُمِ إليه والرِّضى بِشَرِيعتِه، وإنزاله مَنزِلَتَه من غير غُلوٍّ ولا جَفَاء، والصلاةِ والسلامِ عليه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.



وُجوهِهم عُميًا وبُكمًا وصُمًّا، إلى جهنم وِردًا.

- ثمَّ يُجمَعون ليوم الجمع العظيم.

- ثمَّ يحصل اللقاءُ ويأتي ربُّك والمَلَكُ صفًّا صفًّا.

- ثمَّ يكون عَرضُ العباد على الله تعالى، لا تَخفى منهم خَافِيَةٌ، ولخُصُوص المؤمنين عَرضٌ لمعاصِيهم لتَقرِيرِهم بها، وسَترِها عليهم ومَغفِرَتِها، وهو الحساب اليسير.

- وأمَّا الحساب العسير فهو المناقَشة، ومن نوقش الحساب عُذِّب، ومن أهل الجنَّة من يدخلها بلا حسابٍ، ولا سبق عذابٍ.

- ويُجاءُ بكتاب الأعمال، وفيه الحقير والجليل من الأقوال والأفعال.

- ويُؤتى بالشهداء من الملائكة الحَفَظة، والكِرامِ الكَتَبـَة، والأسماع والأبصار، وسائر الجوارح والأَبشَار، وعندها يقتص للمظلوم من الظالم.

- ثم تَطَايَـرُ الكتبُ وتُنشَر الصحُفُ، فمِن آخذٍ باليمين نسأل الله مِن فضله، ومِن آخذٍ بالشمال من وراء ظَهرِه، عاملنا الله بعفوه.

- ثم تُنصب المَوَازين ليوم القيامة، فمن ثَقُلَت موازينُه فأولئك هم المفلحون، ومن خفَّت موازينه فأولئك هم الخاسرون.

- و يَنصرِف الناس إلى ظُلْمةٍ دون الصراط، فيُفرَق بين المؤمنين والمنافقين ثم يُعطَون النور كلٌّ بحسبه.

- ولنبيِّنا يوم القيامة الكوثر، ومنه يُمَدُّ حوضه، من شَرِبَ منه شربةً لم يظمأ بعدها أبدًا.

- ماؤه أشدُّ بياضًا من اللبن وأبرد من الثَّلج وأحلى من العسل، وريحه أطيب من المسك، وآنيته كَعَدَدِ نجوم السماء.

- والصراط جِسرٌ مَضرُوب على مَتْنِ جهنم، يَرِدُهُ الناس بأعمالهم، فناجٍ مسلَّمٌ، وناجٍ مَخدُوشٌ، وآخر في نار جهنم مَكدُوس، والنبي ﷺ قائمٌ عليه يقول والملائكة: "**ربِّ سلِّم سلِّم**"[(1)].

- وَبعده يكون الاقتِصَاص فيما بين أهل الجنة من المظالم.

- ومِن الإيمان باليوم الآخر الإيمانُ بالشَّفاعة، وهي ثابتة بشَرطَيْها: إذنه تعالى للشَافِع، ورضاه عن المشفُوع له.

- ومنها الشفاعةُ العُظمى لنبيِّنا ﷺ، وهي لفَصْل القضاء، وهي المقام المحمود.

- ومنها شفاعته ﷺ في استفتاح باب الجنَّة.

- ومنها الشفاعة في المؤمنين وعصاة الموحِّدين، وهي له ولسائر الملائكة والنبيِّين والصالحين.

- ويخرج من النار أقوامٌ بشفاعةِ ربِّ العالمين.

- ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وبحجاب الكفار يوم الحسرة والندامة.

- وأسعد الناس بشفاعته ﷺ: من قال لا إله إلا الله خالصًا مِن قلبه.

---

(1) رواه مسلم (١٩٥).

- ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالجنَّة والنَّار.
- فالجنة مُسْتَقَرُّ الأبرَار، والنار مأوى الفُجَّار.
- مخلوقتان الآن دائمتان لا تَفنَيان.
- والجنة ونعيمها درجاتٌ، والنار وعذابُها دَرَكَات.
- ولكلٍّ خَزَنَةٌ وأبوابٍ، للجنة ثمانيةُ أبواب، وللنَّار سبعةٌ بلا ارتِيَاب.
- أوَّلُ الخلق دخولًا الجنة: هذه الأمة وهم نِصف أهلها أو يزيدون.
- وأوَّلُها دخولًا: نبيها ﷺ، وآخرُها دخولًا: عُصَاتها.
- وأكثرُ أهلها: الفقراء والضعفاء.
- وجميعُ أهلها برحمةِ الله يدخُلُونها.
- وأكثرُ الخَلقِ -من غير أمَّتنا- يدخلون النار، وأكثر أهلها النساء.
- ومَن ماتَ على غير التوحيدِ والإيمانِ ففي النار خالدٌ أبدًا.
- ومن دخلها من عُصاة الموحِّدين لم يخلَّد فيها أبدًا.
- فإذا صار كلٌّ إلى داره وقَرَارِه ذُبِح الموتُ، فلا موت أبدًا.
- والإيمان باليوم الآخر يَبعَث على الطاعة حِرصًا، ومِن المعصِيَة هربًا، وعلى الاستقامة دوامًا، وفي متاع الدنيا وزَهرَتها زُهدًا، ولأجر الآخرة طلبًا، وعلى المشقَّات والمكروهات صَبرًا.

❁❁❁

الفصل الثالث والعشرون

الإيمان بالقضاء والقدر

- ومن أركان الإيمان: الإيمانُ بالقضاء والقَدَر خيره وشرِّه، حُلوه ومُرِّه، وأنه مِنَ الله الذي خلق كلَّ شيءٍ فقدّره تقديرًا، وكان أمره قَدَرًا مقدُورًا.

- وأصل القدر سِرُّ الله تعالى في خَلقه، طَوَى عِلمَه عن عباده، ونهاهم عن مرامه.

- **والإيمان به مراتبُ أربع:**

- **أوّلها:** الإيمان بعلم الله المحيط بما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، يعلم ما تُكِنُّ صدورُ خَلْقه وما يعلنون، وأحوالَهم وأعمالَهم ومآلَهم الذي إليه يَصيرون، ثمَّ أَخرجهم إلى هذه الدَّار، فأمرهم ونهاهم وابتَلاهم، حتى ظهر فيهم سَابِقُ عِلمِه، وبَالِغُ حِكمَتِه ﴿**وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٤٠]، موصوف بكمال العلم، فلا يَلْحقُه نسيانٌ ولا وَهمٌ.

- **الثانية:** الإيمان بكتابة مقادير الخَلائق، وفقًا للعِلم السابق، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ**﴾ [الحج: ٧٠]، وهو اللَّوح المحفوظ، وهو أُمُّ الكتاب، فما مِن كَائنٍ إلى يوم القيامة إلا وهو مكتوبٌ مَرقُومٌ قبل أن يخلق الله السمواتِ والأرضِ بخمسين ألف سنة، ثمَّ كَتَبَ السُّعداء

والأَشقياء وأرزاقَهم، وأَعمالَهم وآجالَهم، وهم في بطون أمَّهاتهم، وهو تَقْدِيرٌ دَهرِيٌّ عُمرِيٌّ، وفي ليلة القدر تقديرٌ حَوْليٌّ، وإنفَاذُ المقدُور على العبد في وقته المحدود تقديرٌ يوميٌّ، ولكلِّ نبأ مُستقَرٌّ وسوف تعلمون.

- **الثالثة:** الإيمان بمشيئته تعالى النَّافِذَة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يَكُن، يهدي من يشاء فضلًا، ويُضِل مَن يشاء عدلًا، لا رادَّ لقضائه ولا مُعَقِّبَ لحُكمِه، ولا غَالِب لأمره، وللعبادِ مشيئةٌ فمَن شاء منهم الاستِقامةَ اتَّـخذ إلى ربه سبيلا، ومن شاء منهم الغِوايَةَ اتَّـخذ الشيطانَ وكيلا.

- ومن شاءَ فمشيئةُ الله قَبل مشيئتِه، وإرادتُه تعالى قبل إرادتِه قال تعالى: ﴿**وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾ [التكوير: ٢٩] ومَشيئتُه تعالى تَابعةٌ لِعِلمه وحِكمَتِه.

- **الرابعة:** الإيمان بأنه تعالى خَالِقُ كلِّ شيءٍ، قال تعالى: ﴿**ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ**﴾ [الرعد: ١٦]، وهو تعالى خَالِقُ العبادِ وأفعالِهم، قال تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصافات: ٩٦].

- وتوكُّل القلب على الربِّ لا يُنافي الاكْتِسَاب وتَعاطِي الأسباب، بل هو مِن أعظم الأَسباب.

- وما أصاب العبدَ لم يكن ليُخطِئه وما أخطأه لم يكن ليُصِيبَه، وما قَضَى اللهُ تعالى كائنٌ لا محالة، والشقيُّ الجَهُول مَن لَامَ حالَه، والقدرُ إنما يُحتجّ به عند المصائبِ والآلام لا عِند المَعايِب والآثام.

- والشَّـرُّ لا يُنسب إلى الله تعالى لتمامِ رَحمته وحكمته، فإن نُسِبَ إلى مقضِيَّاته مِن وجهٍ فهو منه عدل وخير.

- والإيمان بالقضاء والقدر يثمر اعتمادَ القلب على الربِّ عند مُباشرةِ السبب، والرضا بِمُرِّ القضاء، واحتسابَ الأجر بالصَّبر أو بالشُّكر.



الباب الثالث

نواقض الإيمان ونواقصه



الفصل الأول

معنى الكفر وأقسامه

- الكفرُ يكونُ بارتكاب نواقضِ الإيمانِ ويُطلقُ عليها المكفِّراتُ وهي: أقوالٌ أو أفعالٌ أو اعتقاداتٌ، حَكَمَ الشارع بأنها تُبطِل الإيمان، وتُوجب الخلودَ في النِّيران.

- وسائر المعاصي والسَّيئات تُنقص الإيمانَ ولا تَنقُضُه.

- والكفرُ عدم الإيمان، وكما يكون بالاعتقادِ والقولِ يكون بالعمل، وسواء أكان العملُ قلبيًّا أم بدنيًّا.

- وكما يكون الكفرُ بالفعل، يكونُ بالتَّركِ والامتناع، والشَّكِ والارتيَابِ.

- والكفرُ والشركُ والفِسقُ والظُّلمُ تُطلقُ في الشرع ويُراد منها الأكبرُ أو الأصغرُ.

- **فالأكبر**: يُخرِج صاحبَه من المِلَّة، ويَرفَع عَن دمه وماله العِصمَةَ، وتجري عليه أحكامُ الكفَّار في الدنيا، وهو في الآخرة في النار من الخَالِدين، ولا تَنفعُه شفاعة الشَّافِعين.

- **والأصغر**: صَاحِبهُ من أهل المِلَّة في الدَّنيا والآخرة، وأمْره في الآخرة إلى الله، إن شاء عذَّبه وإن شاء عفا عنه، وهو ممَّن يصلح أن تُدرِكَه الشفاعة يوم القيامة.

- والكفر الأصغر قد يُطلق ويُراد كفرُ النِّعمة، أو كفرٌ دون كفر.

- قال تعالى: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠].

- وعليه فلا يَمتَنِع أن يجتَمِع إيمانٌ وكفرٌ غيرُ ناقلٍ عن الملَّة في الشخص الواحد، ولا يلزم مِن قيام شُعبةٍ مِن شُعَبِ الكُفر بالعبد أن يَصير كافرًا الكُفر المطْلَق، حتى تقوم به حقيقة الكُفر[1].

- وكما أنَّه لا تُوجد حقيقةُ الإيمان التي تَنفَع العبدَ إلا بُوجُود أصلِه، فلا يَخرُج العبدُ من الإسلام إلا عند وجود حقيقة الكُفر الأكبر.

(1) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (١/ ٢٠٨).

الفصل الثاني

ضوابط إجراء الأحكام

- الكفر والتَّكفِير حُكْمٌ شرعِيٌّ، والحُكْمُ بهما حقُّ الله تعالى وحدَه.

- ومن ثَبَتَ إسلامُه بيقين لم يَزُل بالشك، والإسلام الصَّرِيح لا يُنقَض إلا بالكُفر الصريح.

- والخطأ في نَفي التَّكفِير أو التَّفسِيق أو التَّبدِيع أهونُ من الخطأ في إثباتها.

- والأحكام في الدُّنيا تجري على الظاهر وآخر الأمر، فمن كان ظاهرُهُ الإيمانَ حُكِمَ له به، ومن كان ظاهرُه خلافَه حكم عليه به، والاطِّلاع على القلوب مَوْكُولٌ إلى علَّام الغُيوب.

- وعلى العُمُوم لا التعِيين يُقطع لموتى المسلمين بالنجاة من الخلود في النَّار، ويُقطع لموتى أهل الكُفر والإلحاد بالخلود في النار.

- وكلُّ وَعيدٍ وَرَدَ على ارتكاب مَنهِيٍّ بإطلَاقٍ لا يَستلزِم بالضَّرُورة الحُكْمَ به على فاعله أو مُرتكِبه على التعيين، وسواءٌ أكان المنهيُّ عنه قولاً أم فعلاً أم اعتقادًا.

- فالحُكْم المطْلَق لا يَستلزِم الحُكمِ المعيَّن، فلا تَجري الأحكام على الأَعْيَان إلا بعد قيامِ الحُجَّة بتَحَقُّقِ الشروط، عِلمًا وَقَصْدًا واختيارًا وانتفاء الموَانِع.

- ومَن لم يَفهم الدَّعوةَ لم تَقُم عليه الحجَّةُ.

- والعُذْر جارٍ في أصول الدين وفُروعه، ومواطن الإجماع والخلاف على حدٍّ سواء.

- وعلى الرَّاجِح ففي الجملة حيث أَمكَن الجهلُ فالأصل العُذر حتَّى تقومَ الحُجَّةُ وتَبِينَ المحجَّةُ.

- وكلُّ تَأوِيلٍ انطَوَى على تَكذِيب الرَّسول، أو جَحدِ أصلٍ لا يقوم الدِّينُ إلا به، ولا يُعذَر صاحِبُهُ، كالفَلاسِفة والباطنيَّة في تَأويلَاتِهم -فإنَّ صاحبَه يَكْفُر، وأمَّا مَن لم يكن كذلك فبَين أن يأثم صاحبُهُ ولا يَكفُر كعوام المرْجِئَة والمعْتزِلة وغيرهم في تَأويلَاتِهم، وبَيْن أن لا يأثم ولا يُبَدَّع ولا يُكفَّر كالمجتهدين في تأويلاتهم في فروع العقيدة والشريعة .

- والإكراه عُذرٌ مُعْتَبرٌ يَمنعُ من إجراء الأحكام، وقد قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

- والتكفِير بما يَؤول إليه المقال ليس بُكفْرٍ في الحال، ولا يصحُّ تكفيرٌ أو تبديعٌ بِلازم القول أو المذهب، إلا أن يُلتزَم.

الفصل الثالث

أنواع النواقض وأقسامها

- والنَّواقضُ قد تكون قلبيَّةً أو قوليَّةً أو عَمَليَّةً.

- وهي تنقسم أيضًا إلى نَواقِض في التوحيد والإلهيات، وأخرى في النُّبوَّات، وثالثةٌ في الغَيبيَّات، ورابعةٌ في أبوابَ مُتفرِّقاتٍ.

- فأما النَّواقِضُ القلبيَّة في التوحيد فمنها ما يُناقِضُ اعتقادَ القلب وقولَه ومنها ما يُناقِضُ عملَه.

فأما نَواقِض اعتقاد القلب فهي:

- التَّشريك بَين الله وبين أحدٍ مِن خَلقِه في صفات الرُّبوبيَّة، كالخَلق والمُلْك والتَّدْبير وعِلم الغَيب، أو اعتقادِ وَحدةِ الوُجود، أو حُلُولِه تعالى في مخلوقاته.

- اعتقاد ألوهيةِ غيرِ الله، واستِحقَاقِه للعبادة من دون الله، أو مع الله.

- الشكُّ في الله تعالى، أو في رسوله ﷺ، أو في كِتَابه، أو في شريعته وحُكمِه.

- الإلحاد في أسمائه تعالى وصفاته بِجَحدِها وإنكارها، أو بتَسمِيَة الأصنام بأسمائه تعالى، أو وَصْفِه تعالى بالنَّقائِصِ أو القَبائِح، أو تَشبيهِه تعالى بِخَلقِه في الصفات، تعالى الله عما يقولون عُلُوًّا كبيرًا.

وأما نواقض عمل القلب فمنها:

- كُفْر الإباء والاستِكبَار وهو كُفْر إبليسَ وأعدَاءِ الرُّسل، وحَقِيقَتُه تَركُ الانقياد لأمر الله تعالى.

- ومنها: شِركُ النيَّـة والإرادة والقَصد، ومنه أكبر، ومنه أصغر.

- وَمِنها: شِرك المحبَّـة، كأن يُحِبُّ مخلوقًا كحُبِّ الله.

- **وأما النواقض القولية في باب التوحيد فمنها:** سبُّ الله تعالى والاستِهزَاءُ به، أو سبُّ كتابِه، وهما مَـحلُّ إجماع.

ومن النَّواقض العملية في باب التوحيد:

- الشرك في العبادة والنُّسُك؛ فمن صَرَف شيئًا مِن العبادة لغير الله كأن ذَبَح أو نَذَر أو طاف أو صلَّى لغيرِ الله تعالى أو دعا غيره فقد كفر، أو أشرك، ولا يُشترَط أن يَعتَقِد في مَعبُوده صفات الرُّبوبيَّة.

- ومنها: الحُكم بغير ما أنزل الله، ومنه أكبرُ ومنه أصغر.

- فمَن ترك الحُكم بما أنزل الله في واقعة أو وقائع لهوى أو رِشوَةٍ أو خوفٍ أو مصلحة دنيوية أو نحو ذلك، مع الإقرار بخَطَئِه ويَقِينِه بمَعصِيَته، فهو كفرٌ أصغرُ، وكفرٌ دون كُفْر.

- ومن تركه مُستَحِلًّا تَبدِيله، أوالتشريع من دونه، أو جَحدًا لوُجُوبِه، أو رأى أنه مخيَّـرٌ فيه، أو أنَّ حُكْمَ الله لا يَصلُح، أو أنَّ حُكْمَ غيره أَصلَح، أو أنه مُساوٍ لحُكْمِ الله؛ فهو كافرٌ خارِجٌ مِن الملَّة، وذلك بعد إقامة الحُجَّة وإزَالَة الشُّبهَة.

- والحكمِ على المعيَّنين مَوكُولٌ إلى القُضاةِ المعتَبرِين والكبار الرَّاسِخِين، من أئمة الفقه في الدِّين.

- والسَّعيُ لإقامة سُلطان الشريعة في البلاد وفي قلوب العبادِ على المِنهَاج الرَّبَّانيِّ واجبٌ شرعيٌّ، وعملٌ مرضيٌّ، ويَتأَتَّى بالاعتصام بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمَّة، تَصفِيَـةً لما أصاب العَقَائِدَ من الشَّوَائِب، وتربيةً على مَنهَجِ أهل السنة اللَّاحِب.

- والاستِحْلَال الذي اتَّفق أهلُ السنة على تكفير صاحِبه، تارةً يكون بعَدَم اعتقاد الحُكم الشرعيِّ، وهذا يؤول إلى كُفرِ التَّكذِيب، وهو نَاقِضٌ لرُكن التصديق في الإيمان، وتارةً يكون بردِّ الحُكْم على الله ورسوله وعدم التزامه أو قَبوله، وهذا يؤول إلى كُفْر الإباء والاستِكبَار، وهو ناقضٌ لركن الانقياد.

- والتحاكُمِ إلى غير ما أنزل الله رضًا واختِيارًا نِفاقٌ لا يَجتمع مع الإيمان.

- وكلُّ ما أُحدِث من الأقوال والأفعال ومَناهِج الحكم على خلاف الشريعةِ فهو ردٌّ، لا حُرمَة له، ولا أَثَرَ يَتَرتَّبُ عليه، إلا ما دعت إليه الضَّرُورة وما يُنزَّلُ منزِلَتها.

ومن النَّواقِض القلبيَّـة في باب النُّبوَّات:

- اعتقاد "أنَّ لأَحَدٍ طريقًا إلى الله غيرَ مُتابَعَةِ مُحمدٍ ﷺ، أو لا يجب عليه اتِّباعُه، أو أنَّ لغيره خروجًا عن اتباعِه"[1].

(1) كشاف القناع للحجاوي (٦/ ١٧١).

- ومنها: ادِّعاءُ النُّبوَّة لنفسه أو اعتقادُها في غيره، أو تَجوِيزُها بَعْد ختمها، أو إنكارُ خَتمِها.

- ومنها: إنكار الكُتُب المنـزَّلَة إجمالًا، أو إنكار بَعضِها مما يَجب الإيمان به تفصيلًا، وكل ذلك يُناقِض قولَ القلب.

- وبُغض وكَراهِية ما جاء به الرسولُ، مما يُنافي عملَ القلب من المحبَّة والرضا والقبول.

ومن النَّواقض القوليَّة في باب النُّبوَّات:

- سبُّ الأنبياء عامةً، أو نبيِّنا ﷺ خاصةً، "فمن استَخفَّ بمحمدٍ ﷺ أو بأحَدٍ من الأنبياء، أو أَزْرَى عليهم، أو آذَاهُم فهو كافرٌ بالإجماع"[1].

ومن النَّواقِض العَمليَّة في باب النُّبوَّات:

- الاستهانة العَمليَّة بالمصحف، كأن يَضعه تحت قَدَمَيْه أو يُلقِيه في القَاذُورَات، أو السعي إلى تغييره وتَبدِيله بِزيادةٍ أو نُقصَان.

ومن النَّواقِض القلبيَّة والقوليَّة في الغَيبيَّات:

- إنكارُ الملائكة أو الجنِّ، أو السَّبُّ أو الاستِهزَاء بشيءٍ من ذلك، وهو تكذِيبٌ للوحي وخَرقٌ للإجماع.

- ومنها: إنكار البَعث، والوَعد والوَعِيد، أو الاستِهزَاء

---

(1) الشفا للقاضي عياض (٢/ ١٠٦٩).

والسبُّ لشيءٍ من ذلك.

نَواقِضُ أخرى

- ومنها ما هو مُتَّفقٌ عليه ومنها ما اختُلِف فيه.

- **فمن المتفق عليه مما يُناقِض قولَ القلب:** إنكار معلومٍ من الدِّين بالضَّرُورة، ومنه إنكارُ حجاب المرأة أصلًا، واستِبَاحَة التعرِّي مطلقًا.

- **ومما يُناقِض اعتقاد القلب وعملَه:** النِّفاق، وهو "إظهار القول باللِّسان أو الفعلْ بخلاف ما في القلب من القول والاعتقاد"[1].

- ومنه مكفِّرٌ وهو الأكبر، وغير مكفِّرٍ وهو الأصغر، وهو من جِنس المعَاصي.

- **ومما يُناقض عمل القلب:** بعض أنواع مُوالاة الكفَّار، فمن وَالَى كافرًا لِكُفرِه فقد نَقَضَ أصلَ إيمانه بالله ورسوله، ومن ذلك مُتابَعتُهم في التَّحلِيل والتَّحريم والتشريع، والتشبُّه بهم في أمور دينهم.

- ومُظاهَرَة الكفار على المسلمين مراتبُ منها ما يَنقُض الإيمان ومنها دون ذلك.

- ومنه: الدعوةُ إلى وحدة الأديان، أو دعوى صِحَّة التديُّن بها جميعًا أو بأيِّها، أو جواز التحوُّل من الإسلام إليها.

- والعَلمانِيَّة التي تعني عَزل الدِّين عن الحياة كلًّا أو جزءًا هي والإيمان ضِدَّان لا يجتمعان، إذ هي في حقيقتها ردٌّ لمرْجِعِيَّةِ الوَحْيِ

---

(1) عارضة الأحوذي (١٠/ ٩٧).

ومناقضة للتوحيد والاتِّبَاع للنبيﷺ.

ومما اختُلِف فيه من النَّواقِض:

- سبُّ الصحابة ﷺ: والصحيح أن من سبَّ جميعَهم أو معظمهم ورَمَاهم بالكُفر كَفَر، بخلاف مَن سبَّ بعضَهم من غير طَعنٍ في دينهم ﷺ.

- السِّحرُ المتضمِّن فعلًا أو قولًا أو اعتقادًا يَقتَضِي الكُفرَ هو كُفرٌ، وإلا فَلَا، وتعلُّمُه وتَعلِيمُه إذا تضمَّن ما يَقتَضِي الكُفر فهو كُفرٌ، وإلَّا فلا.

- والتَّنجِيم الذي يتضمَّن عبادةَ النُّجوم، أو اعتقادَ تَصرُّفها في الكَون، أو ادِّعاءَ علم الغَيب فهو كفرٌ، وإلا فلا.

- وتركُ الصلاة تَكاسلًا من غير جُحودٍ مُختَلَفٌ في حكمه بين أهل السنة، ومَن كفَّر تاركَ الصلاة مُطلقًا لم يَتَّهم مُخالِفَه بالإرجاء، ومن لم يُكَفِّر تارك الصلاة لم يَرْمِ مُخالِفَه بالخُروج.

❀❀❀

الفصل الرابع

نواقص الإيمان

- **ونَواقِص الإيمان:** أقوالٌ وأفعالٌ واعتِقَاداتٌ حَكَمَ الشَّارعُ بأنها تُنقِص الإيمان ولا تَنقُضُه.

- **ونَواقِص الإيمان منها:** الشركُ الأصغرُ، والكَبَائر، والصَّغائر.

- فأما الشرك الأصغر: فهوماورد في النصوص تسميته شركًا ولم يبلغ حد الشرك الأكبر، فهو كالوسيلة للأكبر، ويُفرَّق بينهما بأمور منها:

- صَرِيحُ النَّصِّ عليه، كقوله ﷺ: **"إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ"**[1].

- وما فَهِمَه الصحابةُ من نصوص الوحي كقوله ﷺ: **"مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ"**[2] وقوله ﷺ: **"الطِّيَرَةُ شِرْكٌ"**[3].

- ومما يدلُّ عليه مَجيئُه مُنَكَّرًا غيرَ مُعرَّفٍ، كقوله ﷺ: **"إِنَّ الرُّقَى**

---

(1) رواه أحمد في المسند (٢٣٦٨٦)، و البيهقي في الشعب (٦٨٣١)، و الطبراني في الكبير (٤٣٠١).

(2) رواه الترمذي (١٥٣٥)، و البيهقي في السنن (١٩٦١٤)، و الحاكم في المستدرك (٧٨١٤).

(3) رواه أبو داود (٣٩١٠)، وابن ماجة (٣٥٣٨)، وأحمد (٣٦٨٧)، و البخاري في الأدب المفرد (٩٠٩).

وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ"[1].

- والأصغرُ أكبرُ من الكَبَائِرِ وأَخطرُ، وتعلُّقه بالإيمان أظهر وأكثر.

- والكَبَائِرُ ما استَتبَعتْ لعنةً أو حدًّا في الدُّنيا، أو عقوبةً في الآخرة، ومنها: قتلُ النفس، والرِّبا، والزِّنا، والقَذْف، والتَولِّي يوم الزَّحْف.

- والصَّغَائِرُ ما لم يَبلُغ حدَّ الكبائر، ومن اجتنب الكبائرَ غُفِرَت له الصَّغائرُ.

ومِن نَواقِص الإيمان:

- يَسِير الرياء في العبادات، وتَصوِيرُ ذوات الأروَاح من المخلُوقات، والصلاةُ -تبركًا- بين القبور وإليها، واتِّخاذُها مَسَاجِدَ والبناءُ عليها، والحَلِفُ بغير الله تعالى، والاستِشفَاعُ بالخَلق على الله تعالى، والتَّسمِيةُ بما يَختصُّ بالله تعالى من أسمائه وصفاته، والتَّعبِيدُ بغير أسمائه، والرُّقى البِدعِيَّةُ و التمائم، وإتيانُ الكهَّان البِدعِيُّ والتَّشاؤمُ، والتعصُّب للحِزبِيَّاتِ الجاهليَّة، والقَوميَّاتِ العُنْصُرِيَّة، والتَّشبُّه بأهل المِلَل الرَّديَّة فيما لا يتعلق بأمورِهم الدينِيَّة.

❀❀❀

(1) رواه أبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجة (٣٥٣٠)، وأحمد في مسنده (٣٦١٥)، و البيهقي فى السنن (١٩٣٨٧).

الباب الرابع

مسائل متفرقات



الفصل الأول

عقيدة أهل السنة في آل البيت ﷺ

- وآلُ بيت النَّبيِّ ﷺ هم الذين حَرُمَت عليهم الصَّدقةُ، من آل عَليٍّ وآل جَعْفَرٍ وآل عَقِيلٍ وآل العبَّاسِ وبَني الحارثِ بن عبد المطَّلب.

- ومِن آل بيته ﷺ: الزوجَاتُ الطاهِرَاتُ الـمُطهَّراتُ الـمبرّآتُ، والحَليلَاتُ في الدُّنيا وفي أعلا الجنّات، هُنَّ أمَّهاتُ المؤمنين اللَّائي أذهب الله عَنهُنَّ كلَّ رِجْس، ونزَّهَهُنَّ عن كلِّ دَنَس، ولاسيما خَدِيجَةُ رضي الله عنها التي انفَرَدَت به فلم يَنكِح عليها، وعَائِشَةُ رضي الله عنها التي انفردَ بها فلم يَنكِحْها غيرُه.

- ومِن آل بيته الذين جلَّلهم بالكِساء: عليٌّ وفَاطِمةُ والحَسَنُ والحُسَينُ ﷺ أجمعين.

- وهم الأخيارُ الأبرارُ، والذُّرِّيةُ الأطهارُ، أَشرَفُ بَيتٍ حَسَبًا وأكرَمُهم نَسَبًا.

- وأهل السُّنَّة بحبِّهم إلى الله تعالى يَتقرَّبون، وبحمايَتِهم والذَّبِّ عَن أعراضهم يَتَديَّنون، وبِبُغض مَن أَبغَضَهم أو قَدَحَ فيهم يُجاهِرون، وبِوصِيَّة رسولِ الله ﷺ بمَودَّتهم يعملون.

- يُوَالُونهم ويُجِلُّونهم، ويتبرَّأُون من طريقة النَّواصِب.

- ولا يَغلُون فيهم ولا يعصمُونهم، ويتبرَّأون من طريقة الرَّوافِض.

- يرفعون مُحسِنهم، ويقولون لمسيئِهم: "**مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**"[1].

- ومَن جمع بين طِيبِ النَّسب وصالحِ العمل فقد جمع الخَيرَين، وحاز الفضلَين.

---

(1) رواه مسلم (٢٦٩٩).

الفصل الثاني

عقيدة أهل السنة في الصحابة ﷺ

- وأَصحَابُ خيرِ خَلق الله، أرضى الخَلقِ عند الله بعد أنبياءِ الله.

- فَهُم السَّلفُ السابِق بالإيمان، وهم أهلُ مَرضَاة الرحمن.

- محبتُهم طاعةٌ وإيمانٌ، وبغضهم نفاقٌ وطغيانٌ.

- أبرُّ هذه الأمة قلوبًا، وأَرسَخُهم إيمانًا، وأَعمَقُهم علمًا، وأقلُّهم تكلفًا، بالصُّحبة والنُّصرة سبقوا سَبْقًا بعيدًا، وبتَزكِيَة الله ورسوله لهم بَلَغُوا شأنًا عظيمًا.

- أعلاهم قدرًا، وأكثرُهم أجرًا، وأثقلهم ميزانًا: الصِّدِّيقُ الأكبرُ ثم الفاروقُ الأشهر، وعلى هذا إجماعُ المؤمنين من الصحابة والتابعين.

- ثم ذو النُّورَين عثمانُ، ثم عليٌّ أوَّل من آمن من الغِلمان.

- وهم الخلفاءُ الأربعةُ الرَّاشِدون، وهم الأئمة المهدِيُّون، ومِن بعدهم باقي العشرة المبشَّرين.

- ومن ورائهم السَّابقون الأوَّلون من المهاجِرين الأبرار، ثم مِن الأنصار الأخيار.

- ثم أهلُ بدرٍ، أهلُ الأجر ومغفرةِ الوِزر، ثم أهلُ أُحُد الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القَرحُ والـجَهد.

- ثم أهلُ بَيعة الرِّضوان الذين حُرِّموا على النِّيران.

- ثمَّ مَنْ آمَنَ مِن قبل الفتح وأنفق وهاجر وجاهد.

- ثمَّ مَنْ آمَنَ مِن بعدِ الفتحِ وأنفقَ وجاهَدَ، وكُلًّا وعدَ اللهُ الحسنى.

- فَفَرضٌ على كل مُسلِمٍ محبَّتُهم، والتَّرَضِّي عن جميعهم، وبُغض من يُبغضهم، وبغير الخير يذكُرهم.

- وكما هم في الفضل متفاوتون، فهم في الحبِّ متفاضِلون.

- ويَتَعيَّن الاقتِدَاءُ بهم، والاهتِدَاءُ بهَدْيِهم، دون غُلُوٍّ في أقدارهم، فليسوا بمَعصومِين، أو تنقُّصٍ لمنزِلَتهم، فليسوا كآحاد المؤمنين.

- ويجب الكفُّ عما شجر بينهم، والدعاءُ والاستغفار لهم.

- فلا يُذكَرون إلا بالجميل، ومَنْ ذَكَرَهم بسوءٍ فهو على غير السَّبِيل.



الفصل الثالث

الواجب نحو العلماء

- والعلماء الربانيُّون هم الرُّعاةُ الصالِحون، والدُّعاةُ الصادِقون.

- أخشى الناسِ لله، وأعرفُهم بشرعه وهُداه، وهم الأولياء وَوَرَثةُ الأنبياء، وهم أهلُ الحديث والأثر، وأهلُ الفِقه والنَّظَر، وهم أهل الاتباع والذِّكر، وعلى التحقيق هم أولو الأمر.

- خلفاءُ الرسول في أمَّته، والمُحْيُون لما مات من سنَّته.

- بِهِم قام الكتابُ وبه قاموا، وبِهِم نطق الكتاب وبه نطقوا.

- فرضَ اللهُ - في المعروف - طاعتَهم، وأمر بمحبَّتِهِم، وجعلهم بمَنـزِلة الموقِّعين عن ربِّ العالمين.

- إليهم يرجع في المُلِـمَّات، وعن فتاويهم يُصدَر في المُهِمَّات.

- تُنشَر حسناتُهم، وتُدفَن سيئاتُهم، وتُرعى حقوقُهم، إذ لحومهم مسمومةٌ، وعادة الله في هتك مُنتقِصيهم معلومةٌ.

- وأفضلُ العلماء علماءُ السَّلف مِن الصحابة والتابعين وتابعيهم، وأئمةُ أهل السنة والجماعة في القُرون المفضَّلة الثلاثة، ولاسيما الأئمةُ الأربعة، أصحابُ المذاهب الفقهية المتبُوعة، والكلمةِ الماضِيةِ المسمُوعة.

- اجْتَمَعَت كلمتُهم في مسائل الإيمان والعقيدة، وإن اختلفت في بعض فروع الشريعة.

- والحَذَرَ الحذَرَ مِن تَتَبُّع واتِّباع زلَّاتهم، أو دَعَوى عِصمَتِهم، أو إسقاط مَنزِلَتهم.

- والحَذَرَ الحذَر ممن اتخذوا الدِّينَ حِرفةً وصَنعةً، لا عبادةً وقربةً، يأمرون بالخير ولا يفعلونه، وينهَون عن المنكر ويَنتَهِكونه، ويقولون الباطل، ويكتمون الحق و بالباطل يَلْبِسُونه.

❁❁❁

الفصل الرابع

الإمامة

- نَصْبُ الإمام الأعظم واجبٌ كفائيٌّ بالكتاب والسنة، وإجماعِ أهل السنة.

- والإمَامَة عَقدٌ بين الأمَّة والأَئِمَة موضوعٌ لخلافة النُّبوَّة في حراسة الدِّين وسياسة الدُّنيا.

- تَثبُتُ الإمامة بإجماع الرعية، أو ببَيعة أهلِ الحَلِّ والعَقْد أو بالعهد، ومن تَغلَّب حتى اجتمعت عليه الكلمةُ انعقدت إمامتُه، ووجبتْ في المعروف طاعتُه.

- وللأمَّة على أئمتها تَحكِيمُ شريعتها، وحِياطَةُ عقيدتها، والمحافظة على وَحدتها، إقامةً لواجب الأمر والنهي، ونشرًا لأعلام الجهاد، وجمعًا للزَّكاة والصدقات، وتحريًّا للأمانة في اختيار الكفاءات.

- وللأئمة حقُّ السمعِ والطاعةِ في المَنشَطِ والـمَكْرَه، وفي كلِّ طاعةٍ ومباحٍ يُشرع، دون كل معصيةٍ أو ظلمٍ يُمنع.

- ولهم حقُّ النصحِ إذا أخطأوا، والإعانةِ إذا أصابوا، تُـقَال عَثَرتُهم، وتُستَر عورتُهم، ولا يُطمع في دنياهم، وبالصلاح يُدعى لهم.

- ويَحرُمُ الخروجُ على الأئمة ما داموا مُسلِمين، ولكتاب الله ولسنة نبيِّه ﷺ محكِّمين، يُصبَر عليهم وإن جاروا، ويُحجُّ ويُـجَاهَد معهم وإن ظلموا وفسقوا، وتُلزَم جماعتُهم وإن ضَربوا الظُّهورَ وأخذوا الدُّثُور.

- وَيَنتَقِض عَقدُ الإمامة بانتقاض أحد أركانه، كفقد الإمام أو باختلال أحد شروطه كجنونه أو رِدَّته.

- ولا يَلزَم من انتقاض العَقد كفرُ الأئمة، وإنما انعدام الشرعيَّة، وهذا لا يعني المُنَابَذة العَمَلِيَّة؛ فإن لذلك شروطًا لابد من توافرها، وإلا كانت تغريرًا بالأنفس والأموال، فلابد من استيفاء الشرعيَّة، وعدم الإضرار بالأمَّة، وحَصرِ المواجهة مع أعدائها فحَسْب، مع ترتيبِ الأَوْلَوِيَّات، ووضوحِ الرَّايَات، وسلامةِ الوَلاءات، وتحقُّق المصلحة بإعزاز الدِّين، والدَّفع عن المستضعفين.

- وتقدير هذا كلُّه مما يُسلَّم إلى العلماء الراسخين، ومن دخل في طاعتهم من أصحاب الشَّوْكة القادِرين.

- وإذا خلا المكانُ أو الزمانُ عن الإمام الحقِّ لفقده شرعًا أو حِسًّا، فالأمر مسلَّم إلى أهل الحَلِّ والعَقد في الأمة، ويَتَعَيَّن الاجتماعُ على الحق وموافقةُ السُّنَّة، وتركُ التفرُّق في الملَّة، والعملُ على إقامة الفرائض في الأمة.

- فلا تَسقط جمعةٌ عن أهل وُجوبها، ولا يتخلَّف عن جماعةٍ أحدٌ من أهلها، ولا يُتخلَّى عن واجب الأمر بالمعروف في المجتمعات، والنهيِ عن المُنكَرات، ولا تُستَبَاح أموالُ المسلمين أو الذمِّيين أو المعَاهَدين أو المستأمنين ودِماؤهم وأعراضُهم إلا بحقِّها.

- وهذا يُعقِبُ عصمةً وأمنًا، وانضِباطًا واطمِئنانًا، وقوةً في المجتمعات وتماسكًا.



الفصل الخامس

منهج التلقِّي والاعتصام بالكتاب والسنة

- وأهل السنة يتلقَّون عقيدتَهم عن صَحائِح المنقول، والإجماع المتلقَّى بالقَبول، وصَرائح المعقول، والفِطرَة القوِيمَة.

- ويعتقدون أن الحُجَّةَ القَاطِعَةَ والمَرجِعَ الأعلى كتابُ الله تعالى والسُّنَّةُ النَّبويَّة الصحيحة، ولو كانت آحادًا.

- ولا يُقدِّمون على كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ كلامَ أحدٍ كائنًا من كان.

- ويعتقدون السُّنَّةَ حُجَّةً بنفسها في مسائل العقيدة والأحكام.

- ويتلقَّوْن نصوصَ الكتاب والسنة بالتعظيم والاستسلام.

- ويعتقدون اشتمالَهَا على جَميع مسائل الدِّين ولاسيما الإيمان.

- ويأخذونها مأخذَ التَّعْوِيل عليها والاعتماد.

- ويَعتَنون بجَمع النُّصوص في كلِّ باب.

- ويفهمونها بفَهم النَّبيِّ ﷺ والصحابة الثِّقات، والأئمة الأثبات.

- يفسِّرون الكتاب والسنة بهما، ثم بأقوال الصحابة ومن سار على مِنهَاجهم، فإن لم يتيسر فبما صحَّ من لغة العرب ولَهَجاتهم.

- ويفهمونها على ظاهرها المقبول، ويَدْرَأون باطلَ التَّأوِيل.

- ويَدفعون ما ظاهرُه التعارض بين صحيحِ النَّقل وصريحِ العقل.

- ويَعتقدون أن النُّصوص لا تأتي بمُحَالات القَبول، وقد تأتي بما تُحار فيه العُقول.

- فإن وقع ما ظاهرُه التعارُض فإن مَرَدَّه إلى الوَهم في صحَّة العقل أو الثُّبوتِ والدَّلالةِ في النقل.

- ويَكفُّون عما سكت عنه اللهُ ورسولُه، وأمسَك عنه الصحابةُ ومن تبعهم بإحسان.

- فهم مُجمِعون على توحيد مَصدَر التلقِّي، وتَجرِيده عن كلِّ شَوبٍ كلاميٍّ مَردُودٍ، أو فَلسَفيٍّ مذمومٍ، أو مَسلَكيٍّ مُبتَدَع.

- ويَعتمدون ألفاظ ومصطلحات الكتاب والسنة عند تقرير مسائل الاعتقاد وأصول الدين، ويُعبِّرون بها عن المعاني الشرعيَّةِ، وَفق لغة القرآن، وبيانِ الرسول ﷺ.

- ولا عصمة لأحدٍ بعد النَّبيِّ ﷺ إلا لإجماع الأمَّة إذا انعقد، وليس لآحادها عصمة.

- ويَعتقِدون أن الإجماع في الأحكام حُجَّةٌ قاطعةٌ، وأنّ الخلافَ السائغ موطنٌ للسَّعة.

- وما اختُلِف فيه وجب ردُّه إلى الكتاب والسنة، مع الاعتذار عن المُخطِئ من الأئمة، فلا يَعصِمون ولا يُؤثِّمون.

- وكلُّ ما لم يَرِد بشأنه دليلٌ من نصٍّ صحيحٍ صريحٍ، أو إجماعٍ مُنعَقِدٍ، فهو من مسائل الاجتهاد، فلا يُثَرَّب على المُجتَهِد فيها وإن أخطأ، إذا كان قصدُه الحق واجتَهَد في طلبه.

- ولا يَعدُّون من مسائل الاجتهاد ما ورد فيه خلافٌ شاذٌّ، أو جرى مَجرَى الزَّلة والهَفْوَة من أقوال العلماء، فلا يُتَابَعون عليها، ولا يُشَنَّع عليهم بسببها.

- ويَعتنون بالتفريق بين مسائل الاجتهاد التي يسوغ فيها الخلاف، ولا يُضيَّق فيها على المخالِف، وبين المسائل التي لا يَسوغ فيها خِلافٌ.

- ولا تَعارُض لديهم بين تَرك الإنكار والتَّضيِيق على المخالف في المسائل الاجتهادية، وبين التحقيق العلمي لها وبيان ضعفِ دليلِ المخالِف، والتحذير من مذهبه.

- والفِراسة الصادِقة حقٌّ.

- و الرؤيا الصالِحة حقٌّ.

- وكل ذلك ليس من مصادر التلقِّي أو التشريع.

- والكرامة لأولياء الله حقٌّ.

- وأفضلُ الكرامةِ الدَّوَامُ على الطاعةِ والاستقامة.

- وخرقُ العادة لا يدلُّ بمجرده على الو لاية.

- وكلُّ مؤمِنٍ وَلِيٌّ للرحمن بقَدْر ما فيه من تقوى وإيمان.

- ولا عصمة للمُكاشَفَاتِ والمُخَاطَبات -إن ادُّعِيَت- ونحوها من الأحوال.

- ونقلُ مَصدَرِيَّة التشريع من الوحي إلى الهوى من أخطر مناهج البِدع والإلحاد.

- وتمامُ الفقه في الدين يكون بالعلم والعمل معًا، وبهما وبالصبر واليقين تُنال الإمامةُ في الدِّين.

- والالتزام بمنهج أهل السنة بالجملة وعند تقرير مسائل الإيمان خاصةً؛ يُثمر صدقَ الانتساب إلى السَّلف، ويُوَحِّد الصفَّ، ويَجمع الكلمةَ، ويُكثِّر الصواب، ويُقلِّل الخطأ، ويُحقِّق التَّمكِين، ويحصِّل النَّجاةَ والفلاحَ في الدنيا والآخرة.



الفصل السادس

الموقف من الابتداع وأهله

- كلُّ مُحدَثة في الدين بدعةٌ، وكل بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالة في النار.

- وأهل السنة يُؤَكِّدون على تَوقيفيِّة العبادة، وسدِّ ذرائع الابتداع، وردِّ جميع ما خالف السنة.

- فمُستَنَد المشروعية هو موافقة الشريعة المطهَّرة، بفَهم وتطبيق الصحابة البرَرَة، وأهل الحديث المهَرَة.

- والأُسوة الحسنةُ لهذه الأمة هو رسولُ الله ﷺ، فإذا صحَّت سنَّتُه بلا مُعارِض، فلا يَحِلُّ لأحدٍ ردُّها لقول أحدٍ من الخلق.

- وأهل البدع النَّاكِصون عن الاتباع أهلُ جهلٍ وتعصُّبٍ، وغُلُوٍّ وهوى، يُجادِلون بغير حقٍّ، ويُجادِلون في الحقِّ بعدما تبين.

- يَجتمِعون على تنقُّصِ منهجِ السلفِ، ويُجمِعون على عداوةِ أهلِ السُّنةِ.

- مُختلِفون في الكتاب، مُخالِفون في الكتاب، مُتَّفِقون على مخالفة الكتاب.

- يَزعمون أن النصوص لا تفي بمسائل الإيمان.

- ويستدِلُّون بالكَشف والذَّوق والمنامَات.

- ويَعتَمِدون الوَاهي من الرِّوايات.

- ويَترُكون الاحْتِجَاج بصحيح الآحاد.

- يُقدِّمون واهي العقل على صحيح النقل، ويُحرِّفون الكَلِم عن مواضعه.

- ويَقبِسون من أديان غير المسلمين، ويتأثَّرون بمناهج وثقافات غير المؤمنين.

- وفِرَقُ الخارجين عن السُّنة -كالخوارِج والشِّيعة والمعتَزِلة والمرْجِئَة وغيرهم- مُتوعَّدون في الجملة، فحُكمهم حُكم أهل الوعيد، يتوجه عذابُهم، وقد يَغفِرُ الله لبعضهم لجهلهم، أو بأعمالٍ لهم صالحةٍ، أو بتوبةٍ ماحيةٍ، أو بمصائبَ مكفرةٍ، أو بشفاعةٍ مقبولةٍ، ونحوِ ذلك.

والفِرَقُ الخارجةُ عن الإسلام كالباطِنِيَّة وغلاة الشيعة والقاديانيَّة والبَهائيَّة كفَّارٌ في الجملة، وحكمُهم حكمُ المرْتَدِّين.



الفصل السابع

معاملة أهل البدع

- وأهلُ السُّنة تتفاوت معاملتُهم مع المخالِف من أهل البدع:

فتارةً يُبيِّنون الحقَّ ويُبدون النصحَ بلا مُحابَاة، وتارةً يأخذونهم بالتألُّف والمُـدَارَاة، وثالثةً يعاملونهم بالهَجْر والمُجَافَاة، وذلك بِناءً على تفاوتِ مَراتِب البدع في نفسها، واختلافِ حال أهلها، ووفقًا للمصالح والمفاسد المترتبة في الزمان والمكان، إذ كل ذلك من مسائل السياسة الشرعية التي تُبنى على تحصيل المصالح وتكمِيلِها، ودَفعِ المفاسد وتقلِيلها.

- ويَعتبِرون -أوَّل الأمر- أن المخالف منهم محلُّ دعوةٍ بالحِكمَة والموعظة الحسنة، ويتلطَّفون بهم في ردِّهم إلى الجادَّة، وحَظِيرة السنَّة.

- ويَقبلُون الحقَّ مِـمَن جاء به، وبه يعرفون الرجال، ويُنصِفُون المخالِف، فَيقبَلُون ما في كلامه مِن حق ويَردُّون الباطِل.

- ويَضبِطون ردَّهم على أهل البدع بحُسنِ القَصد، ونُصرةِ الحق، ونُصحِ وهداية الخَلق، والرحمةِ والرِفق.

- ويَنهَون عن المناظرة من لم يكن في العلم مَتينًا، وفي الفَهم عَمِيقًا، وفي الحُجَّة بليغًا، ويَردُّون البدعةَ بالحق، ويَنقُضون باطلها من الأصل.

- ويَأمُرون قبل المناظرة بمعرفة -حال الخَصْم مذهبًا وقولًا وأدِلَّةً وكُتُبًا.

- ويمتنعون عن مناظرة أهل السَّفسَطة والمغالَطة.

- ويحرِّرون مواطَنَ الخلافِ، ويُحيطون بردود أهلِ البدع بعضِهم على بعض.

- ويُظهِرون أوَّلًا تعارضَ الباطل، وتَنَاقُضَ أدِلَّته وفسادَ لَوازِمه.

- ويَعتنون بألفاظ أدلَّتِهم وتَحريرِها، ومراعاة سِياقها وِسباقها ولحاقها.

- ويَجمعون بين المتماثلات، ويُفرِّقون بين المختلفات، ويستدلون بالأدلَّة المتَّفق على حُجِّيَّتِها.

- ويَتوقَّفون عند الإيهام.

- ويستَفصِلون عند الإجمال.

- ويعلمون أن الاصطلاحاتِ الحادثةَ لا تُغيِّر من الحقائق الشرعيَّة شيئًا.

- ويُسَوِّغون -عند الحاجة- مخاطَبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم الخاص، وإقامةَ الحجةِ عليهم بجنس ما التزموه من الحجج.

- ويسكتون عما سكت عنه اللهُ ورسولُه.

- وعند غلبة الظنِّ بعدم جدوى المناظرة والمحاوَرة فإنهم

ينهَون عنها، ويأمرون بهَجرِهم، وتَركِ مُجالسَتِهم حيث لم تتحقق مصلحةٌ، أو تحقَّقت المضرَّةُ، وعليه يُحمَل تحذِيرُهم من مُجالَسة أهل الأهواء والبِدع.

- ويَطلُبون من ولاة أمرهم الأخذَ على أيدي أهل الأهواء بما يَنكَفُّ به شرُّهم، وينقطع به عن أهل الإسلام ضَرَرُهم.

- وبالجملة فأهل البدع هم من أهل القبلة، ما لم ينتَقِلوا ببدعتهم عن الإسلام إلى غيره بدليلٍ واضحٍ وبرهانٍ لائحٍ، إذ مِنهم مَن بِدعَتُه مُكفِّرة، ومنهم مَن بدعتُه مُفسِّقة، ولكلٍّ أحكامٌ.

- وكما يجوز الدعاءُ لجُملتهم بالهداية، فيجوز الدعاءُ على جملتهم من جهة أخرى، وفي المُعيَّن منهم خلافٌ وتَفصِيل.

- وأهل السُّنة يُصَلُّون الجُمَعَ والأعيادَ خلف أهل القبلة، ومن لم يكن إلى بدعته داعِيًا وبها مجاهِرًا.

- ويُصلُّون على أهل القبلة، وقد يَترك بعضُ أهل الفضل الصلاةَ على بعض أهل البدع زَجْرًا عن بِدعَتهِ.

- ومَن ثَبت كفرُه لم تُجْزِ الصلاةُ خلفه، ولا عليه.

- ويعتقدون أن الأصل في المسلمين السلامة.

- وأنه لا يُشرع للمأموم أن يسأل عن حال إمامه إن كان مستورًا.

- والدَّاعِية إلى البدع منهم تُردُّ شهادتُه إنكارًا عليه، ومن أهل

السنة من قَبِلَها، ومن لم يكن دَاعِية فالرَّاجح قبول شهادته.

- والأصلُ في تلقِّي العلم عنهم المنعُ دَرْءًا للمفسدة، وَسَدًّا للذَّريعة، إلا عند الاضطرار إلى ذلك فيجوزُ مع الحَذَر.

- وتجوز الاستعانةُ بهم في الجهاد حيث دَعَت الحاجةُ، شَرِيطَةَ أن يكونوا ممن يُحسِنون الرَّأي في أهل السُّنَّة، وأن يكونوا مأمونين ومُؤتَمنين، وإلاَّ فلا، وفي التاريخ والواقع شاهدٌ وعِبرةٌ.



الفصل الثامن

الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والجهاد

- أهل السنة يَعتقدون أن الدعوةَ إلى الله والأمرَ بالمعروف والجهادَ من أعظم القُرُبات، ومن أَجَلِّ المُهمَّـات، وهي مهمة الأنبياء، وسَبِيلُ الأصفياء.

- ويؤمنون بأن هَدفَهم من الدعوة والأمر والنهي والجهاد هو: هدايةُ الناس للإيمان، وتعبيدُهم للواحد الدَّيان، وإخراجُهم من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد، وإخلاءُ العالَمَ مِن الفساد، وبَسطُ سُلطان الشريعة على البلاد والعباد.

- وهم يُقِيمون بناء دعوتهم على أصولٍ راسخةٍ، ومُنطَلَقَاتٍ ثابتةٍ، يَقتدون بِهَدْيِ الأنبياء في الدعوة عامةً، ويَقفُون أَثَرَ المصطفى ﷺ وأصحابه خاصةً.

- يُحقِّقون توحيدًا وإخلاصًا.

- ويَتَّبِعون أَسْلافًا وآثارًا.

- ويَنشُرون علمًا وفقهًا.

- ويُربُّون أجيالًا.

- على بصيرةٍ بالإسلام عقيدةً وشريعةً.

- وعلى بصيرةٍ بالناس أصنافًا وأحوالًا.

- وعلى بصيرةٍ بالدعوة أصولًا وأسبابًا.

- يأمرون بالمعروف وينهَون عن المنكر، بفقهٍ وتبَصُّرٍ.

- وكلُّ مُنكَرٍ موجودٍ في الحال، ظاهرٍ بغير تَجسُّسٍ، معلومٍ بغير اجتهادٍ، فالإنكارُ فيه واجبٌ، وحَسمُه بما يَنحَسِم به حتمٌ لازمٌ، ما لم يؤدِّ إلى مفسدةٍ أكبر أو تَفويتِ مصلحةٍ أعظم.

- وتقديرُ المصالح والمفاسد في هذا الباب والترجيحُ بَينَها عند التَّعارُض مَوكُولٌ إلى أهل العلم الذين يُوثَق بهم فِقهًا ووَعيًا، ودِيانَةً ووَرَعًا.

- وزوالُ المُنكَر أو تَخفِيفُه مطلوبٌ شرعًا، وزَوالُه مع زوال مِثلِه من المعروفِ أو حصول مثله من المُنكَر مَوضِعُ نظرٍ واجتهاد.

- وزوالُ المُنكَر وحصولُ ما هو منه أكبر، أو فَوَاتُ معروفٍ أكبر مَمنُوعٌ شرعًا.

- ويَعتقدون أن الجهاد ذِروَةُ سَنَام الإسلام، وهو ماضٍ بالنَّفْس والمال إلى يوم القيامة.

- وإنكارُ وجوبه إنكارٌ لمعلومٍ من الدِّين بالضَّرُورة، وادِّعاءُ نسخه أو تخصيصه بجهاد الكَلِمة بدعةٌ في الدِّين وضلالة.

- والجهاد منه دفع وطلب ،وقد شُرِع لردِّ اعتداء المُعتَدين، ولإزالة الفتنة عن المدعُوِّين، ولإرهاب أعداء الدِّين، ولتقوية دولة المسلمين.

- فإن حصل تخلفٌ عن القيام به فإنما يكون بِقَدر العَجْز عنه، مع الأخذ بلوازِم الإعدَادِ له.

❁❁❁

الفصل التاسع

الحرص على الوحدة والائتلاف ونَبذ الفُرقة والاختلاف

- إن السُّنَّة مَقرُونَةٌ بالجماعة والائتلاف، كما أن البدعة مقرونةٌ بالفُرْقَة والاختلاف.

- وأهل السنة والجماعة هم الذين اعتصموا بالكتاب والسنة، فجَمَعوا الكلمةَ، وحقَّقوا معاني الأخوة.

- فلم يتعصَّبوا لرايةٍ عميَّة أو دعوةٍ إقليمية.

- ولم يقدِّموا مصلحةَ طائفةٍ حِزبيَّة، على مصلحة الأمَّة الكُليَّة.

- ويَعتقدون أن من أمانة النصح للأمة الحَضَّ على الوَحدة، وطلب الاجتماع والائتلاف، والنهيَ عن الفُرقَة والاختلاف.

- ووقوعُ الخلافِ حقيقةٌ قَدَرِيَّةٌ، وتَضييقُه بِتَجَنُّب أسبابه والخروج منه احتياطًا للدِّين فريضةٌ شَرعِيَّة.

- فالاجتماع على ما اتفق أهلُ السُّنَّةِ عليه.

- والتَّعَاذُر والتَّغَافُر فيما اختلَفوا فيه، الفقهيَّات والعَقَدِيَّات في ذلك سواء.

- ومن خرج عن الجماعة، وجب ردُّه، دعوةً ونصحًا، وجِدالًا

بالتي هي أحسن، إقامةً للحُجَّة، وإزالةً للشُّبهة، فإن تاب وإلا عُومِل بما يَستحِقُّه.

- ومِن أسباب الاجتماع:
- جَمعُ الدِّين علمًا وعَمَلًا.
- والدعوةُ إلى جميع الدِّين عقيدةً وشريعةً.
- ودعوةُ جميع الخَلق من أمَّتَي الإجابة والدعوة.
- والحَذَرُ مِن الجِدال في الدِّين، والمِراءِ والخُصُومات بغير بُرهَانٍ مُبِين.

الخاتمة

وفي الختام فإنَّ الوَصِيَّة: إحسانُ العبادةِ إذ هي غايةُ خَلقِ الثَّقَلَيْن، واجتِنَاءُ ثَمَرَتِها: التقوى، وتحصيل رِضَى الله تعالى في الدَّارَيْن، والعِنايَةُ بطريقها:العِلم، والاعتصام بسنَّة خَاتَم النبيين والمرسلين ، ثم السعيُ في التمكين للدين وحراسته، وتبليغُ حججه للسائلين وبيناتِه، وتبليغُ النِّصال إلى نحور المحاربين من أعدائه.

والحمدُ لله على الخِتام، والشُّكرُ لله على التَّمام، والصلاة والسلام على خَير الأنام، وعلى آله وأصحابه الأعلام .

❁❁❁

وكتبه

أبو عبد الله

محمد يسري



الفهرس

مطابع الأهرام ٦ أكتوبر - التجارية - مصر